

حسببة ظاهر جفيم

بُحيرة الرب

وقصص أخرى

٢٠١٧

الناشر



www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي

سماح الجمال

المدير الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

حسين الشحات

التصميم الداخلى

وليد محمد

دار النخبة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى

- الحي الأول - مدينة الشيخ زايد -

الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢

٠٠٢ - ٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2016 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2016 - 26693

ISBN: 978 - 977 - 6580 - 28 - 2

الإهداء...

أهدي هذه المجموعة القصصية إلى أعز وأحب
وأعظم رجل في الكون × أبيييي ×
إلى أجمل وأحن وأطيب امرأة على وجه الأرض
× أمييييي ×
إلى كل معلم أو أستاذ علمني ولو حرفاً أو رقماً .

حسيبة ظاهر

امرأة من نار

ركن السيارة إلى ظل شجرة في حافة الطريق، وأعاد قراءة الرسالة.. امتلأت عيناه بالدمع دون أن يذرف دمعاً واحداً.. كيف يبكي؟ وقد تربى على أن الرجل لا يبكي.. فبكى ضحكاً جنونياً لم يضحك مثله من قبل.. وبدأ يضرب المقود بكلتا يديه.. خائنة.. خائنة.. كاذبة.. ملعونة بنت ال... ما دخل أبيها؟ لم يستفق من هلاوسه إلا على صوت إصبع يدق على زجاج نافذة السيارة، رفع عينيه فإذا بالشرطي يقول له:

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

الوقوف ممنوع هنا يا سيدي ألم تر الإشارة؟

- آسف أنا أعمى يا سيدي.. أعمى...

قال الشرطي: أنت مسطول؟

-كنت مسطولا استفقت للتو...هه... هههههها... للتو...

..أدار المقود، وانطلق مذهولا طول الطريق، لم يستطع أن يتوقف عن مشاهدة ذلك الفيلم الكوميدي لحياته معها... ها هو غازي يخرج من باب الوصول بالمطار الدولي حاملا حقيبة سوداء لامعة، وحقيبة رياضية «أديداس».. منكوش الشعر كعادته.. لم يتغير كثيرا؛ وسيم الملامح، خفيف الظل، لطيف الطبع ..

تعانق الرجلان بحرارة شديدة.. تبادلأ أسئلة كلاسيكية لابدّ منها، ثم ركبا سيارة «الميجان» الرمادية اللون، فقد كان يحب اللون الرمادي.. ربما لأنه لون حياته الآتية والماضية معا.. وانطلقا إلى بداية النهاية .

قال غازي : أوصلني إلى المحطة، ومن هناك سأستقل سيارة أجرة إلى البلدة....

لقد تغيرت كثيرا يا صديقي! أنسيت كم سندويشًا تقاسمنا؟ أنسيت أننا كنا نتنقل على دراجةٍ يشدُّ واحدنا

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

قميص الآخر.. أنسيت؟؟

- لا والله أنت اليوم ضيفي.. ترتاح من السفر.. تتعرف
على يسرا زوجتي وتذوق أصنافها الشهية

- هههه ما أحمقني لم أكن أدري أنه سيتذوقها هي هه
هههههههه... ثم أنت أمانة عندي إلى أن أسلمك لخالتي
«ونيسة» غدا إن شاء الله، ولا تقلق فقد هاتفتها هذا الصباح
واتفقنا على كل شيء، ووعدتني بأن تعد لي كسرةً

(خبز تقليدي) من يديها وطمينة بالزبدة الطبيعية (طمينة
هي حلوى جزائرية تقليدية)، أم تراك ما زلت تغار من حبها
لي كعهدك القديم.

(Ok).. ولكنني لا أطيق تأجيل لقاء أمي للغد، فالغربة
قاسية يا صاح!

لم أعهدك شاعريا يا صديقي! أو لم تسع إلى الهجرة من
أجل الرُّبح السريع تاركا وراءك أبا ينازع، وأمًا أنت بكرها
ووحيدها؟ وسعاد التي انتظرتك طويلا، ثم استجابت لقدرها
وتزوجت المسكينة..!

أنا آسف يا صديقي لم أنو مضايقتك لكن الماضي
يجتاحنا أحيانا بلا استئذان.. الماضي لا يموت.. إنه حيٌّ

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

يرزق في رؤوسنا، فإما أن نتسمّم بذكرياتنا ونقضّي مع القاضين
وندفن في قبو الماضي، أو نأخذ لقاح النسيان، فلا نموت لكن
نظلّ حاملين سلبين للمرض، وعند كل إحباط نصاب بحمّى
نفسية ونبدأ بالهديان... المهّم الحمد لله على سلامتك.

كفى ثرثرة! أنا لا أفهم.. أنت طيب أم فيلسوف؟ امض
بنا فما أحوجني لـ «دُش» يهدّي أعصابي..

دق الجرس.. فتحت كمن كان خلف الباب ينتظر.. كانت
جميلة كالحلم.. لذيذة كالحب.. شفافة كالوهم.. ناعمة
كالحريز.. تزينت كعروس.. كليلّة عيد.. شعرها غجريّ
مجنونٌ عرييدٌ متمرّدٌ يشعُّ كالنار.. كالشمس وقت الشفق..
فستانها بلا حزام.. لظالما كرهت الأحزمة، والأوشحة
والأربطة والأغطية.. حتى في عز البرد ما كانت تتدثر، فلتكن
كما تشاء.. المهّم أنّها أمامه حقيقة.. واقعا لا صورة افتراضية
خلف شاشة من زجاج.

قال يعرّفهما، وما كان يدري أنهما قد تعارفا من وراء
سداجته وخداعه: غازي صديق عمري.. يسرا زوجتي،
وأسرتي وكل مالي.

مدّا يدين إضطربتا شوقا... خجلا ظنّه لجهله - عقلت
عيونهما شوطاً دهرٍ و تاهتا عن الزمّكان..

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

أهلاً - قالت -

تشرّفنا - نبسّ - ...

تمّ التعارف الكلاسيكي، والترحيب التقليدي.. وظلّ غازي طوال السهرة يحكي عن حياته بكندا؛ عمله.. عاداتهم.. أكلهم.. أعيادهم... عن بعض المصطلحات الفرنسية التي تختلف عن فرنسية فرنسا... ثم أخرج قارورة عطر (سيلين ديون)، وقدمها لها.

- شكرا - أو مأت -

ثم كتاباً بعنوان - (الموجّه الكندي في التغذية الصّحية) وقدمه لها.. احمرت، وكادت تخنق.. قال: كيف اخترت لها هذا الكتاب بالذّات؟

تلعثم ثم قال: أنسيت أنك أخبرتني أنها تقوم بأبحاث عن علاقة التغذية الصّحية ببعض الأمراض كالسرطانات وأمراض القلب؟

-ربما! لا أتذكر...،

- ثم لا تكن غيورا هذه هديتك حقيية لا تليق إلاّ بطبيب ناجح مثلك.

آه كم كان مغفلا، كم استغلّأ حبه لهما وثقته بهما، كم

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

اعتبرَ غازي أكثر من أخ واستأمنه على زوجته، كم أحضره للغداء أو العشاء أو السَّمر والسَّهر.. كم كان كريماً وسخيّاً ومعطاءً، كم كان الحاضر الغائب بينهما .. كم مرة تغامزا وتهامزاً وهو اللَّاشيء بينهما.. كم مرة استغلاه واستباحا حقوقه.. كم مرة سلباه شرفه.. كبرياءه.. عنفوانَ رجولته.. كم مرة ضحك الغباءُ من غبائه.. ورثتُ السداجة سداجته.. كم مرة دمعتُ أعينُ القدرِ لِقدره وهو منتشٍ بينهما يضحك هزيمته.. كم.. وكم.. وهل من فائدة للعدِّ والتَّعداد.. للتَّذكر والرَّثاء.. للبكاء؟!!

استفاق من دهشته على «كلاكسون» قوي لشاحنة تقطع الشارع، اتبه فإذا هو في مدخل حيّه.. فكر أين يذهب؟ لمن يشكي همه؟ ما فائدة الشكوى..؟ أدار المقود واتجه إلى بيت صديقه الآخر مراد؛ مراد ذلك الشاب الرسام «الدونجوان» العابث الذي لطالما احتقر الحب، ولم يؤمن يوماً بقيمة الإنسان...

ارتمى في أحضان صديقه باكياً منهأراً، دفعه الآخر بلطف متسائلاً: ما خطبك يا صديقي؟ أمات أحد؟
...أنا.. ماذا؟..

لم ينطق.. أخرج الهاتف.. فتح الرسالة.. وناوله ليقرأ..:

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

الحياة بيننا قد انتهت يوم دخل بيننا.. فالأكرم أن تطلقني بلا مشاكل.. وسأعفيك من كل حقوقي.. أرجوك طلقني.. فأنا أحبه.. أجل أحبه! إنه أول حب في حياتي.. ما كان بيننا لم يكن حبا.. كان مجرد رابط مقدس.. ولا يجبُ تدينسه بالخيانة..

أتريد أن تعرف من هو؟ إنه صديقك.. صديقك غازي! أجل غازي الذي أقدمته في حياتنا كطرف ثالث.. إنه غازي الذي علمتني أن أتحمى حبه حرفا حرفا.. وأعشق روحه قطرةً قطرةً.. بحبك له وإعجابك به ومدحك له بمناسبة أو بدون مناسبة..

قرأ دون أن يفقه.. و فقه دون أن يقرأ..! شحب لونه وكادت روحه أن تزهق.. بدأ يصرخ غير عابئ بمن يستمع إليه: مجرمة خائنة.. أمنت بها بعد كفرٍ وإلحادٍ فخذلتني.. قالت إنها لم تحب رجلا قبلي.. ولن تعرف رجلا بعدي.. إني أنا هي.. وهي أنا وغيرنا عدم.. عدم..! قالت إنها لن تغادر يوماً حضني.. وإني كفنها وقبرها ودنياها وآخرتها.. ما أغبانني..! أو ليست الدقيقة عند النساء دهر..!؟

شَخَصَ الآخرُ في مكانه وقلبه يتصدّع.. كاد أن يحتضنه ويواسيه لكنه بعد أو ان انتبه أنه هو من كان يذبح.. شهق وما عاد يدري أحْيَّ هو أم ميت.. وضع يده على اللوحة

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

الملتحفة بإزار أسود كي لا يقع، فأوقعها.. ووقع.. وقعت
اللوحةُ وتعرّت كاشفة عن جسد عارٍ.. عارٍ تمامًا.. عارٍ من
كل شيء.. من كل شيء! جسدٌ مجسّدٌ بإتقانٍ وإمعانٍ، من فيه
سافرَ وأبحرَ.. حتى تلك الشّامةُ السوداءً على أعلى الفخذ
الأيسرٍ لم تفلت.. كانت.. كانت.. هي.. أجل هي.. هي عارية
من كل زيفٍ.. من كل شيءٍ إلا..
إلا الخيانة.....

من يطفئ النار؟

دق الجرس.. جرى الأطفال خارجين كمن يفر من السجن.. أغلقت الباب وخرجت مودعة زميلاتهما.. أمام باب المدرسة كان ينتظرها بطوله الفارع، ووجهه الملائكي، وابتسامته الحبيبة.. حياها وأخذ يدها في حضن يديه، ومشيا فرحين طائرين كفراشتين تزهوان وتحفیان بالريبع.. مشيا غير عابئين بما.. وبمن حولهما.. يجران الحلم، ويحتضنان الحب.. ويستجديان الأمل..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

جلسا تحت التينة التي اعتادت قدومهما، وتسمّعت إلى كلامهما ولطالما انتشت واستأنست بهما.. افترشا السندس وتغطيا بالسديم.. تغازلا.. تلاعبا.. جريا.. وفي نشوة الحب وسكراته التحما.. تهماسا.. وتاها عن الكون والملكوت، وكانت الخطيئة رابعهما، والتينة شهيد إثمهما..

..شبهت.. بكت.. حاولت عبثا لملمة شظاياها، فالعطر زيوته طيارة.. قال: لا تحزني حبيتي، فأنت لي وأنا لك، أم نسيت أن فاتحتنا قد قرأت على فم شيخ المسجد، وشهد عليها الحبر الأكبر! لا خطيئة لنا.. لا ذنب.. لا وزر.. لن يحاسبنا الله، ولا يسوع.. سيجرّنا الطابو، ويحاسبنا الطوطم القبلي، ويحاكنا الصنم العرفي الرجعي المتفوق، ويعدنا مجتمع متربص بالعشاق.. بالأطفال.. بالأحرار.. بالأخيار.. مجتمع متخصص بتلفيق التهم، وتلييس الفضائح، وتشخيص الخبايا.. مجتمع يحرم عليك حتى الحلم.. يسقطك في السقط رغما عن عفتك.. ينعتك بالعهر وهو مؤمن بشرفك.. لكنني رجل بهامة «قاسيون»، بعفة «عنتره»، وكبرياء «الشنفري»، ولن أترك للمتربصين إلا البطالة.. فليبحثوا عن فريسة أخرى بعيدا عنا، والموعود المؤجل سيعجل، وغدا تأتيك مني الأنباء سرب فرح في موعده المنتظر، فعودي إلى بيتك، وانتظريني.. وإن تنفست تنفسيني، وعند كل رمشة عين أذكريني.. سألبسك

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

البياض وأوشحك الزهر وأحملك إلى مملكتي لتكوني بليقيس عمري، وفي حضنك أختم عمري.. قالت: لكنها الحرب، وأنا أنزف.. والوطن ينزف.

قال: في الحرب نحن أحوج للملمة الشمل.. للاحتماء بالحب.. للتدفؤ بالمشاعر، سنتزوج وسنشهد الدمار على حبنا.. ونزين بالركام عرسنا، ونُشيعُ بزغاريد المدافع، وتصفيق القنابل.. وتزفنا القناصة إلى عشنا.. سنكون أقوى وأسعد.. ويوما ما سنفخر بانتصارنا، وسنروي لأحفادنا حكاية حب وسط الركام أزهر.

دبت في البيت حركة غير عادية.. إنه التجهيز للعرس.. روائح الكعك والحلوى تنبعث من كل ركن.. المزهريات والتحف الجديدة تحتل الصدارة في الصالون.. علت الزغاريد والأغاني السعيدة.. جلست أميرة بيضاء متوجة بالورد والزهر.. معطرة بالعنبر.. تشرئب الأعناق لترى محياها الذي ازداد جمالا وبهاء وحياء وهاجا..

ارتفع صوت الغناء والطرب حتى لامس السحب وعانق الأفق.. تمايلت النسوة في الداخل، والحمام على السطح، لعلت الزغاريد وزقزقت العصافير.. رقصت «السندريلا».. لكن دون أمير.. طال الوقت وتمدد، والمنتظر لم يحضر..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

غاب الحضور.. وغاب الغياب، و في لحظة دوي انفجار معهود.. غطى الصياح على الغناء، والعيول على الفرح.. تسابقت الأرواح باحثة عن النجاة.. مبعوثة بفطرة حب البقاء.. أما هي فكانت تجر ثوبها المخملي وتجري..

ركضت وسط الركام والغبار والدمار والهدم والردم.. وسط روائح الحريق والدخان الأسود إلى أن وصلت إلى بيته.. لم يعد بيتا بل كومة تراب وقطع إسمنت.. بكت.. صرخت.. جلست تتحب وتستجدي الحياة من الموت..

استفاقت فإذا هي بغرفة رمادية اللون.. نزعت أنبوب المصل من ذراعها وهرولت تجري.. وتجري إلى أن وصلت إلى التينة، هذه المرة لم تأت لموعد، وإنما لتقتفي أثره في التراب والطين والورق المتناثر، لكن لا أثر.. وظلت كل يوم وفي نفس الموعد تذهب إلى التينة وتسألها هل حضر..؟ والتينة تحرك أغصانها يمينا وشمالا..

ذات ذهاب وجدت أن الحرب لم تهدم البيوت، ولم تقتل الحلم فقط، بل طالت حتى الشجر والحجر، وكانت التينة تحترق ولا من يطفى نارها.. فمن يطفى نارها.. من؟؟

من الإيكوس إلى الأوراق

هذه قصتي أنا فلا تسألوني ما نوعها... قصيرة.. طويلة..
ومضة.. لست أدري.. ولا أريد أن أدري.. لا يهمني نوعها..
حجمها.. شكلها.. مدرستها.. واقعية.. سريرية.. لا يهم،
المهم صدقها!

صادقة هي لأنها أنا.. أنا التي تهت بين تشريق وتغريب..
بين شمال بعيد وجنوب أبعد.. بين ماضٍ أت.. و حاضر
غاب.. كنت أقرأ.. أقرأ.. أقرأ.. وكالجاحظ تحت الكتب

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

أدفن.. كان الكتاب صديقي وعشيقني وأيسني.. كان لعبة طفولتي ومصاصتي ومشروع حصالتي وعيديتي.. وكنت أكتب في صومعتي وأهمل مسوداتي حتى يغطيها الغبار المنسي في رف عتيق من خزانتي.. حتى يأكل عليها الدهر ويشرب، فتصير هباءً مثورًا بنات أفكارني.

كم من ليلة أرقت فيها وجافاني النوم، فيجيء المَلَك بالوحي والإلهام.. أسرد في صمت وسكون إلهامي وترايلي.. أخشع في الظلماء، وأستمع لهاتفي.. لدقات خافقي، وما بين غفوة اليقظة وصحوة النوم أسهو وأستفيق وقد نسيت كل ما قلتُ، وكلما فكرت في تدوين ونسخ ضحكت مني نفسي وقالت: أنت مجرد سمكة صغيرة في محيط كبير عميق رواده قروش وحياتان.. نازك ونزار.. نجيب وجبران.. عادة وأحلام.. فأستتفه فكرتي، وأدخل في سبات فكري ناسية أني كنت أفصح بني صفي، وأنبههم وأذكاهم.. و...

ذات هجرة مضيت إلى المجهول أجر أحلامي وأوهامي.. أسحب نجاحاتي وانكساراتي.. تسع سنين عجاف مضت بي ما حملت بين يدي إلا القليل من الكتب، واستساغ لساني (وي) و(يس) و(أوكي) و(باي)، وأغاني «سليين ديون» و«الدركشن وان»..

أناملي قاطعت اليراع واستحبت عد «الدولار»، واكتفت

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

بتقشير الثوم والخيار، وإن أبدعت ففظائر أمريكية محشوة
بشراب القيقب (ليغابل) أو كاتو فروماج.. إلى أن استفتقت
يوما من غيبوتي، وضحك الغباء من غبائي.. مالي أراني
ساكنة والكون في حراك؟ أرض تدور.. شعوب تثور.. صغار
تكبر.. غلمان تبدع وتنشر.. ما فائدة فكر عقيم لا ينتج؟ هل
سأظل كالتينة الحمقاء حتى أقبر، وكلمات عمر أندم؟

نفخ في روح أفكاري فتمردت وثار.. تحررت.. طارت
وغردت.. تسألني متى؟ أجيبك: يوم قرأتك حسدتك،
أخرجتك بتعرية أخطائك ونقد أفكارك.. صرت أغار منك،
ومن كل من يكتب ويجد من يقرأ له.. من يومها كلما كتبت
أنت فكرة تهاطلت علي الأفكار، لكن آسفة أنا لا يمكنني أن
أقول أنك كنت ملهمي، ففي وطني وعرفي عيب أن يكون
للمرأة إلهام.. ثم خلعتك ولبستني وتحررت من مجارة
أفكارك ومن عقدة كونك ملهمي.. صرت أدون كل ما لا
أحس.. وما أحس.. أرسم بالكلمات، وألون جدران معبدي و
قبو صومعتي.. أنحت الكلمات أيقونات وتماثيل، وأنفخ فيها
من روحي، وأسقيها بدمي ودموعي.. فتغدوا تواشيح وتراتيل
من حنايا عمري الآتي، والذي انقضى.. يقف لها السامع
خاشعا كالصلاة.. أخرج من ذاتي أساطير الإنسان الأول،
وغدت كلماتي طيور مهاجرة من «الإكوس» إلى «الأوراس»..

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

سفيرة لي بوطني تحمل لكم هناك سلامي، وتبتكم أشواقِي..
رجاء يا كلماتي اعبري ذلك الشارع، وعرّجي على ذلك
المنزل، واطبعي على جبين أُمِّي قبلة علَّها تشم ريحي.. وألقي
بنفسك في حضن أبي عله يسمع صوتي الحزين الذي يملؤه
الحنين، وألقي نظرة على الزرع والشجر وخبريني هل تزينت
العذارى للربيع؟ وهل ما زال الفراش الملون يطير؟ هل ما زال
للماء خريز؟ وهل ما زال الديك عند الفجر يصيح؟ خبرني..!
هل أزهرت نباتات الزعتر؟ وشمميني عبق الأقحوان وأريج
العنبر.. خبريني عن أغاني الطيور وصفير الصرصور.. عن
الباعة المتجولين.. عن ألعاب الأطفال وشعرهم المنكوش..
عن رائحة الكسكس وقت السحور.. عن رائحة التراب
الممزوج بأولى قطرات المطر.. عن السهر.. عن السمر..
عن النكت.. عن جنون الضحك. عن..

السفر إلى الهاوية

انسلت من تحت اللحاف.. تسللت إلى الصالون حاملة
جهاز اللابتوب.. ارتمت على الأريكة الباهتة الباردة.. قرأت
رسالته للمرة العاشرة.. أو المائة وواحد، فما عادت تدري..
احضري أو غيبي أبدا..

ظلت ساهمة تفكر، فهي لو حضرت ستغيب، ولو غابت
ستحضر فما العمل؟

ربطت جأشها، ووضعت ماضيها في الجانب الأيسر

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

للروح.. ارتدت الحب، وانتعلت الحلم، وضعت قليلا من الأحمر على وجنتيها وشفتيها، فلا وقت لديها لأكثر.. حملت حقيبة تحوي ثيابا قليلة، وكتبا كثيرة، وألبوم صور.. استرقت النظر إلى ذلك المُلقى على السرير، الموثق: «أسفة»!

ألقت نظرة على طاولة الإفطار.. منسقة كالعادة: إبريق حليب.. إبريق قهوة.. خبز محمص.. صحن حلوى مربى وجبن وزبدة الفول السوداني وكعكه المفضل الذي أعدته له بنفسها، وفي الركن أزهار جميلة المنظر، عاقر لا تفوح بعطر.. كل شيء هادئ وعادي.. كل شيء هنا إلهي فلن تكون!.. أسرع الخطى خارجا.. صفقت الباب فما بهم، فهي الخطوة التي ليس منها رجوع.

نزلت الدرج مسرعة، فالحب في السيارة ينتظر، والزوج على السرير يُحتضر، اندست في المقعد.. صفقت الباب.. نظرت إليه.. لم يستقبلها كما توقعت.. كلامه خافت، ولونه باهت.. سيجارة تحرق شفثيه.. كانت الساعة عنده الرابعة صباحا، ومشروع ندم، كانت عندها لرابعة إلا عودة، والثالثة.. وأمل.

قال الحب: مرهق أنا.. فقودي أنت!

في صمت تبادل الأماكن.. عيناه تفران منها كلما إليه

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

نظرت.. قالت: إلى أين؟ قال: إلى المصير.. داست البنزين وانطلقت إلى اللأين.. كان الحب كعادته جميلا مهندهما عطرا، لكن حركاته اليوم غير متزنة.. نظراته هاربة منكسرة شاردة.. كلامه ضئيل.. مزاجه غريب..

كانت السيارة تجري هاربة نحو الماضي.. سالكة شارع الوهم المجهول، قالت: إلى أين المسير؟

قال: إنه الآن بيكي ويبحث عني.. مسكين ذلك الصغير لن يحاول عضي بعد اليوم.. لن يلامس خدي.. سيبيكي كثيرا.. مسكين.. يستحق أبا أفضل مني بكثير..

قالت: مسكين! هو سيفطر وحيدا، وينام فريدا، ويعيش سقيما.. لن يبيكي.. لن يبحث عني عصي الدمع.. هو عزيز النفس، كاتم النَّفْسِ.. قهرته أنا، ضمّرتَه لأنه فقط أحبني، أهنته.. قلصت هامته لأنه فقط أكرمني.. ما أغباني.. وما أجبني..!

قال: حزيتان هما.. ستمضيان عاريتان والبرد شديد.. ستهانان بذنبي، وتشتمان وتنبذان بلا ذنب.. ستهجران وتعيّران.. سأبقى في حياتهما وصمة عار، وأبا مستعارا.. عريدا.. شريدا بلا قرار..

قالت: أمي سترثيني.. ستبكييني دهرا.. ستُلقَى في مزبلة

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

المجتمع، أبي سيحزن.. سينزف دما.. أخي سيدفع عني الثمن.. سيتهامز القوم ويتغامزون.. سيتحدثون عن أخته التي تقاطرت عهرا، وتهاطلت أخبارها ظهرا وعشاء وعصرا..

قال: مسكينة هي.. ستجرح كرامتها التي ظلت قلادة في عنقها دهرا وشطر دهر.. سأحطم عنقوانها وكبرياءها.. امرأة هي لا تقهر.. ستملأ الأخاديد وجهها الجميل، وقلبها الضعيف، وحسها الرهيف... عليّ اللعنة من نرجسي أناني متجبر..! ماجن أنا وسخيف لا أستحق حتى العيش..

قالت في ذهول من استيقظ لتوه: أهو الندم؟ أبعد عامين من الحب وآلاف القبل..؟ أبعد أن تمردتُ على كل القيم، وغدا اسمي كأس سم تدور على شفاه الذين لي؟ أبعد أن ضحيت بكل ما سيكون، وما قد كان..؟ أبعد..؟ وبعد..؟ وبعد..؟ أتحدث عن الندم..!

قال: فلنشَفَ من هذا الجنون، ولنترقِ عن هذا المجنون، ولنُعُدَّ..

قالت: أنت أعلم مني أن عودتي مستحيلة، فأنا البارحة عاهرة وحقيرة ودمي مهدور.. واليوم دفنت في مقبرة النسيان المحظور، وروحي لا تجوز عليها لا رحمة ولا صلاة، وإننا اليوم غدا... فهل الموتى يعودون..؟ وإن عادوا هل يقبلون..؟

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

و في لحظة لم تُنتظر أدارت المقود بجنون، فارتطمت
السيارة بالحافة المعدنية للطريق، وانحدرت متدحرجة عبر
سفح الجبل، واستقرت في جوف الهوة السحيقة للأبد..

كارولين تقرّر الحياة

كانت تداعب جسدها تحت الماء الدافئ مدندنةً بأغنية «حكاية حياتي» للـ (أن دريكشن) عندما رنّ الهاتف، ثم سمعت أحدهم يترك لها رسالة: هنا عيادة الدكتور (بورجو) يجب أن تعاودي الاتصال بنا في أقرب وقتٍ.. نهار سعيدٌ.

أسرعت بشطف الصابون عن جسدها، والتفت بفوطة الحمام.. أدارت الرقم.. اللعنة! إنه المجيب الآلي.. تنبهت للساعة، فإذا هي الحادية عشر والنصف صباحاً.. إنه وقت

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

الغداء.. يجب أن تنتظرَ إلى الواحدة .

ارتدت ملابسها، وظلت قلقةً تذهب وتجيء.. هذه ثالث سيجارة تحرقها.. هي متوترة منذ أكثر من شهرين، فقد كانت تعاني من صداع شديد منذ مدة يحرمها النوم ليلاً، وقد زارت طبيب العائلة عدة مرات، ولم تنفع معها أي مسكنات.. لذا في آخر زيارةٍ قررت إرسالها لمختص في الأعصاب والدماع، هذا الأخير طلب منها إجراء فحوصات خاصة وأشعة، وهي تنتظر النتيجة منذ شهرين كما هو حال كل المرضى في هذه المدينة (مونتريال)..

جلست إلى الطاولة.. أكلت قليلاً من ذلك السندويش الذي أعدته سابقاً.. لكنها لم تتمكن من ابتلاعه لأن ريقها أصبح ناشفاً.. ناشفاً جداً.. اكتفت بالقليل من عصير التفاح، ونهضت.. ظلت تقتل الوقت، فيزداد مقاومة.. أو ووف! أخيراً ها هي الساعة الواحدة تماماً..

شكّلت الرّقم على عجل ووجل.. ما هذا الحظّ؟! إنّه مشغول! أعادت الكرة.. «ألو ممكن أكلّم الدكتور (بوغجو) من فضلك سيدتي؟

- من معي؟

- كارولين.. أنا كارولين براسا

- آآه.. بخصوص نتائجك الطبيّة؟

- أجل!

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

كَانَ قَلْبُهَا يَدُقُّ بِشِدَّةٍ، وَأَطْرَافُهَا تَرْتَعْشُ كَأَنَّ كَهْرِبَاءً سَرَتْ بِهَا.. كَانَتْ تَنْتَظِرُ حَامِلَةَ السَّمَاعَةِ فِي يَدَيْهَا..

سَعْدَاءٌ بَاتِصَالِكُمْ.. لَا تَغْلِقُوا الْخَطَّ حِفَافًا عَلَى أَوْلَوِيَّةِ الْمَكَالِمَةِ... سَعْدَاءٌ بَاتِصَالِكُمْ لَا تَغْلِقُوا الْخَطَّ حِفَافًا عَلَى أَوْلَوِيَّةِ الْمَكَالِمَةِ...

يَا إِلَهِهِ! كَمْ هُوَ صَعْبٌ وَمَمْلُ الْإِنْتِظَارُ! وَمَا أَطْوَلَ لِحِظَاتِهِ! فَالزَّمنُ لَا يِقَاسُ بِالدَّقَائِقِ وَالسَّاعَاتِ، بَلْ بِمِزَاجِنَا، لِذَا فَرَمْنَا الْإِنْتِظَارَ يَتَضَاعَفُ بِمِتَالِيَّةِ هِنْدَسِيَّةٍ، وَيَمُرُّ ثَقِيلًا..

أَخِييسيسيسيسيرا جَاءَ صَوْتُ الطَّبِيبِ :

-مساء الخير آنسة كارولين براسا.

-مساء الخير سيدي.

-اسمعيني جيدا؛ ملفك أمامي وكلُّ الأشعة والتحليل تثبت وجود ورمٍ ضخيمٍ بالدماغ...

-ماذا؟.. أ....أ.... سرطان؟

-أجل! للأسف.

بدأت تبكي..

-كم بقي لي من الزمن؟

-آنستي! أو لا توفقي عن البكاء، لأنَّ الحزنَ والاكْتِئابَ عَوَامِلٌ تَزِيدُ مِنْ نَشَاطِ الْوَرَمِ، وَأَنْتِ مَقْبَلَةٌ عَلَى فِتْرَةٍ قَاسِيَةٍ..

بُحيرة الرَّبِّ وقصصُ أُخرى

الألمُ سيشتدُّ، وستتتابكِ نوباتُ صَرَغٍ، وتشنجاتٍ، وعمى...

-عمى؟

-أجلُ لذا خذي موعدًا قريبًا لبدء العلاج.. أمّا التدخلُ الجراحيُّ فمغامرةٌ لا طائلَ منها في حالتكِ، وإذا لم يكنْ لديكِ مرافقٌ في البيتِ، اتصلي بمرکزِ الخدماتِ الاجتماعيةِ لحيككِ، وسيعيّنونَ لكِ ممرضةً مختصةً في مرافقةِ المَرْضَى في آخرِ أيامهم.. معذرةً! مضطرٌ لقطعِ الخطِّ لضيقِ الوقتِ.. كوني قويةً..

تن.. تن.. تن.....

تَبًّا لأطباءِ (كيوباك!) يحدثونك عن مرضِ السرطانِ
وكأنهم يتحدثون عن تسوسِ الأسنان!
اشتعلتِ النَّارُ في صدرها، وسرى التَّمنُّلُ في أطرافها،
وانهارتِ متهاويةً على الأريكةِ السوداءِ .

اجتاحها ماضيها المُثقلُ بالآلامِ والرهبَةِ، ذلكَ الماضي الذي ظلتْ حبيستهً إلى اليومِ، لنُ تنسى ما كابدهتْ أمُّها من آلامِ السرطانِ، إذ كانتْ تقضي الليالي باكيةً صارخةً من الألمِ، وكم من مرّةٍ انتابتها نوباتُ الصَرَغِ فتهاوتْ على أيِّ شيءٍ وجرحتْ، وعندما بدأتِ العلاجَ الكيميائي تساقطَ شعرُها وبرزتْ عظمتي خديها حتى غدت كيس عظام، فهجرها أبوها وانتقل للعيش مع صديقتِه، وظلتْ هي تعاني اليتيمَ،

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

وأما تصارعُ المرضِ وحيدةً في وقتٍ كانت في أمسِّ الحاجةِ لشريكٍ، وفي أواخرِ أيامها ازدادتْ حالتها تدهورا، إذ أصبحتْ تقضي حاجتها في السريرِ فاضطروا لإدخالها إلى المشفى، وحين ماتت لم يطالب أحدٌ ببحثها كبقية الجثث المتراكمة في المشافي الكندية.. أما هي، فكان مصيرها ملجأ لرعاية الأيتام، حيثُ كانت لا تلعب، بل تبقى وحيدةً تفكرُ في ماضيها.. متوترة نتيجة خوفها من أن تصاب بذلك المرض الخبيث ويكون مصيرها كمصير أمها المسكينة..

كانتِ الفكرةُ ترعبها وتسيطرُ عليها ليلَ نهارٍ، فتستيقظ من نومها فارةً صارخةً، مما اضطرها لوضعها في غرفةٍ انفرادية لمنع الضرر عن زميلاتِها، ولهذا السبب أيضا هي لم تنجب رغم أنها جاوزت الثلاثين.. فهي لا تريد أن تترك طفلا وحيدا يتربى في الملجأ وقد يصاب بنفس المرض.. يجب ألا يحدث هذا.. لن تنتظر ذلك.. لن تنتظر! ثم لم تنتظر العذاب وتألّم وتعاين، ثم تموت..؟! فلتمت الآن أحسن.. ولترتح.. أجل! لن تنتظر.. فهذا قرار.. هو ربّما أول قرار في حياتها التي لم تختَر منها شيئا؛ لا وجودها.. لا أمها.. لا أباه.. لا اسمها.. حتى الوظيفة لم تختَرها، قبلت بها مرغمة لأنها لم تقبل في غيرها، والشقة التي تسكنها لم تختَرها بل أخذتها لزهدي ثمنها.. صديقها لم تختَره بل قبلت به لأنه الوحيد الذي طلبها.. وفي صغرها ما كانت تختارُ وجبتها ولا لمجبتها ولا فستانها ولا لعبتها، وهي اليوم لم تختَر المرض بل هو من

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

اختارها، وعشَّشَ في رأسها؛ إذن إن لم تكن قادرةً على اختيار الحياة، فستختار الموت.. الآن قد قررت الموت.. بقي فقط أن تختار الوسيلة!

أجل! أول مرة في حياتها ستكون لها حرية الاختيار والمفاضلة: أممم.. أتضرم النار في الشقة؟ لا.. لا! ستؤذي جيرانها.. أتطلق الرصاص على نفسها؟ أووووه! من أين ستأتي بمسدس؟ أتقطع شرايينها، أو ترمي بنفسها من الشرفة؟ إنها أجب من أن تفعل ذلك! أتلقى بنفسها في نهر (السان لورون) وتغرق؟ لكن الفصل شتاءً و«السان» متجمد.. أتلقى بنفسها تحت عجلات الميترو؟ لكنها لا تريد جمهوراً ومتفرجين.. إذن هو الدواء.. الدواء طريقة حضارية ومسالمة للموت..! أخذت قارورة المنوم، ثم بدأت تتناول حبة تلو حبة.. لا! ستتناول العبوة دفعة واحدة كي يكون المفعول أكيدا، فلو تناولت حبة.. حبة قد تضعف وتراجع.. فتحت فمها وابتلعت العشرين حبة المتبقية فيها.

بقيت جالسةً تنتظر الموت.. ترى ما هو الموت؟ هل هو شيء ما أم لا شيء؟ أكيد بعد قليل ستؤلمها معدتها ويغمى عليها، ثم تموت..!

ترى من سيكتشف جثتها؟ أم أنها ستتفنن؟ هل سيحزن (سثيفان) صديقها أم لا؟ هل ستقابل أمها هناك كما تقول الكنيسة؟ وإن كان؛ كيف سيكون لقاؤهما؟ وهل ستعرفها

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

وقد تركتها في السَّابعة من العمر؟ وهل ستلومها أمَّها على فعلتها..؟ المضحكُ أنَّ أمَّها قد توفيت في الثامنة والعشرين من عمرها، وهي الآن في الخامسة والثلاثين.. ستكونُ أمَّها أصغرَ منها..! لِمَ سترهقُ نفسها بالتساؤلات، فبعد قليلٍ ستعرفُ كلَّ شيءٍ..؟

رنَّ الهاتفُ.. لنْ تجيبَ.. لماذا تجيبُ وهي لمْ تعد من هذا العالم؟ ستسافرُ بعدَ قليلٍ.. لكنَّ الهاتفَ لمْ ييأس.. كانَ عنيداً وعندما لمْ تجبْ، ها همَّ يتركونَ لها رسالة صوتيَّة: هنا عيادةُ الدكتور (بورجو).. نأسفُ على اللبسِ الذي حدثَ، فالملفُ لمْ يكنْ ملفك، بلْ كانَ لفتاةٍ أخرى..

لم تصدق ما سمعت.. أسرعِ بحملِ السماعةِ:

-ألو.. ألو أنا هنا.. ما الأمر؟

-نعم.. نعم اهديني! فكما قلتُ كانَ خطأً، فملفكُ أمامي وليسَ لديكِ شيءٌ.. هو مجردُ إرهابٍ وأوهامٍ أفرزها تأثرُك الكبيرِ بمرضِ أمك.. فبعدَ اتصالنا بك، اتصلتُ بنا فتاةٌ أخرى من رقمٍ مختلفٍ عن رقمك وتحمّلُ نفسَ اسمك تسألُ عن نتائجها فاستغربنا الأمرَ بدايةً، ثمَّ فهمنا أنَّ هناكَ مريضتانِ تحملانِ الاسمَ نفسُهُ مع اختلافِ تاريخِ الميلادِ ورقمِ الهاتفِ.. أنتِ (كارولين براسا) من مواليدِ 1980 بنت (فرونس براسا)، أمَّا هي (فكارولين براسا) بنت (فريدريك براسا) من مواليدِ 1986 وقد اختلطَ علينا الأمرُ.. أسفٌ مرَّةً

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

أخرى.. نهارك سعيد...

كادتُ تفرحُ.. ثمَّ تذكَّرتُ مصيبتها، فبدأتُ تصرخُ: لا أريدُ
أن أموتَ.. أنا أختارُ الحياةَ.. قرَّرتُ أن أعيشَ.. قرَّرتُ أن
أعيشَ....

-آلووو.. آلوو... أنسة (براسا) قلتُ لك أنتِ سليمةٌ
تمامًا، حتَّى مشكلة فقرِ الدَّمِ قد اختفتِ! ..

أغلقتُ الخطَّ وشكلت رقمَ الطوارئِ.. أجابَ الخطُّ
فوراً: تسعةٌ واحد.. واحد.. في الخدمةِ كيفَ أساعدُكمُ؟
-أ..أ..أ...

لكنَّ السماعَةَ وقعتُ.. ووقعت معها أيضاً..

حكاية أزلية

دخل الربيع بجماله اليوسفي الكهف المظلم بعد عودته
من رحلته الكونية وطبع قبلة على شفاه حبيته الغارقة في
سبات فصلي.. فركت الطبيعة عينيها النجلأوتين، وتثاءبت
بكسل ودلع بعد سبات طويل .

غادرت شتاءها، ومشت بغنج ودلع تجر أثوابها الباهتة
ويده تحتضن يدها، فانبهرت باحتفائه بها .. ما هذا؟
- صرخت -؛ سمفونية ألوان تتماوج من الأغمق إلى الأفتح..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

لوحة ترسمها الأغاني من حناجر البلابل وخرير السواقي..
تفتّح أزهار فتية ما زالت على عهد العذرية.. أغصان لم
تختنها بعد يد البشرية.. أبسطة خضراء وقرمزية..!

حبيبي ها قد أعدت لي حياتي بعد أن كنت قاضية، وأعدت
لي حرיתי بعد طول اعتقال، سأستحم بأشعة الشمس الذهبية
وأتعطر بشذى الزهور البرية، وأترين بعصير شقائق النعمان
الفتية، وأنزع عني أسمالا بالية لأرتدي حريرا ورديا، وبعدها
أراقصك رقصة «السندريلا» السحرية، ونبارك تصالح قطبي
الكرة الأرضية، ونؤبن كآبة منسية، ونتمتع بعبير شبابنا النديّ
قبل أن تدق ساعة التغيير الأزليّ، فتجف من جديد أمانينا،
وتُصلب أغانينا، فالحكاية مستديمة، والطاحونة تدور بنا،
فمهما طال الدجى آت سناءه، ومهما طال السناء آت دجاه..

الضحية

كانت تبكي وتحتج بأنها لا تريد الزواج منه: إنه ماجن
عريديا يا أمي.. أرجوك! إنهم يقولون بأنه مدمن مخدرات..
ومجنون...

- إنه شاب وسيم وغني جدا.. سيلبسك الحرير والذهب،
ويسكنك قصرا.. أم أنك تريدين ذلك البائس الحقيير..!؟
- يا أمي حميد مثقف و معلم محترم...
- أجل هو محترم وسيسكنك في ذلك السكن الوظيفي،

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

ويوم تقاعده ستذهبن للشارع أنت و من ستنجين!
-تفققققا عده!؟ إنه في الخامسة و العشرين يا أمي.. و الله
كريم.. كريم جدا...

-أنا لا كلام لدي.. الفاتحة قد قرأت و انتهى الأمر..
أم ستجعلينا أضحوكة لأهل القرية، و تسمتين بي الأعداء،
و تكونين مثل سوء لأخواتك الصغريات؟
ثارت.. تمردت.. شكت و بكت.. باءت كل محاولاتها
للخلاص بالفشل..

حُملتُ إلى بيته -عفوا قصره- مزدانة بالذهب و الحرير..
مثقلة بالهدايا.. ذلك القصر كان معتقلا للعذاب و الضرب
و الشتم اليومي و الاغتصاب الشرعي.. لطالما ذهبت لأبيها
شاكية باكية مترجية أن يخلصها.. أن يطلقها دون جدوى.. كان
رده دوما: عودي إلى بيتك فلا مكان لك غيره!..

-يا أبي صدقني إنه مجنون.. مجنون.. أقسم بالله أنهم
يأخذونه للطبيب كل ستة أشهر، و يتعاطى المخدرات أيضا،
و لطالما هددني بالقتل، إنه مج...!..

-كفى هراء! إنه مجرد كلام، و لن يفعل!
استمرت معاملته الوحشية لها حتى بعد إنجابها لابنتها

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

البكر، أرادت أخذ حبوب منع الحمل، لكن حماها كانت تمنعها بحجة أنها أنجبت بنتا وقد يكون القادم ولدا..

حملت ثانية، وأنجبت ولدا كالقمر، وفي ليلة لا قمر لها، كان بيت والدها مزينا بالمصاييح الملونة، ويعج بالمدعويين داخلا وخارجا استعدادا لحفلة حناء أختها الصغرى.. وكانت الزغاريد والأغاني تصل لحد بيتها، وهو يرفض ذهابها إلى الحفل، وبعد مفاوضات بيزنطية أقنعتة أمه.

دخلت غرفتها لتستعد.. حماها أيضا دخلت غرفتها في الطابق السفلي لتتجهز لأنها هي من سترافقها.. لبست فستان الفرقاني الأخضر اللون، وتزيّنت.. كانت جميلة فوق الخيال وابتها كالأميرة بفستانها الليلي.. حين دخل رمقها بازدراء.. كان الشرر يتطاير من عينيه، والزبد من شفثيه.. بهتت.. وقفت جامدة كالصنم..

-تزيّنين له ذلك الساقط الحقيق التّن..؟! خائنة.. عاهرة أهنت كرامتي.. انظري إلى ابنتك! إنها لا تشبهني بتاتا.. ليست من دمي..! انظري إلى ذلك الولد، إنه هو.. أجل! هو صورة مصغرة عنه..؟!!

هرول إلى المطبخ وهي مذهولة كالصنم.. سعدت أمه على أصوات أطفال تبكي، وأثاث يكسر.. وقبل أن تنهي

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

صعودَ ذلك السلم الطويل، كان الهدوء الرهيب قد عم المكان إلا من خطواته ذهابا وإيابا، و صوت زمجرته:

-خائنة تترين له.. أكيد أنها واعدته.. أكيد أنه هناك الآن ينتظرها.. سأرسلها له فورا.. فورا.. سيلتقيان في الجحيم.. زنادقة.. زنادقة..!

هرول خارجا.. صفق الباب حتى حُيِّلَ لأمه أن البيت تحرك ذهابا وإيابا.. أفقت من دهشتها، فاتجهت نحو غرفة نوم كنتها.. كانت رجالها ترتعشان، وحدها ينبها أن طامةً كبرى قد حلت..

دخلت الغرفة.. كان المشهد مروِّعا لا يتحمَّله بشر؛ الطفلة بنفسجية اللون بلا حراك وقد طُبِعَتْ على رقبتها الصغيرة أثار أصابع خشنه غاصت في اللحم الغض.. أمَّا الرضيع فَشُطِرَ نصفين.. نصف بقى على صدر أمه التي هُشِّمَ رأسها وغرقت في الدماء، والآخر رمي أرضا بجانب الساطور الحاد الذي قطع به كبش العيد قبل يومين..!

إعدام

اليوم ليس لديها تطبيقات بعد الظهر، إذن لا بأس..
ستتغيب عن المحاضرات، وتنزل إلى السوق لتشتري
مستلزمات خطوبتها، فالخطوبة السبت، واليوم الأربعاء ولم
يبق لديها وقت كافٍ للتحضير.

بدأت تلف على المحلات.. يلزمها حذاء بكعب عالٍ..
أدوات زينة... أظافر صناعية.. اشترت أيضا بعض الحلويات
رغم أن أمها قد أعدت الكثير.. لكن لا يهم زيادة الخير..

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

خير..

مرت على أشهر حلاقة بالمدينة، حجزت موعداً لها ولصديقاتها.. أسرعَت الخَطَى إلى البيت لتُفرح أمها بمقتنياتها.. دقت الجرس.. فُتِحَ الباب عن وجه متجهم لم يكن وجه أمها.. كان أزرقاً ليس كالبحر ولا كالسمااء.. لا.. لا! أخضر.. لكن ليس كالعشب!

- ما الخطب؟

لم تجبها أمها، بل تهاطلت الدموع من عينيها واحتضنتها بشدة بين ذريعتها كأنها تريد احتجازها في حضنها للأبد كي لا تعلم بما حدث.. لمحت على الكرسي جريدة على صفحتها صورته.. أجل صورته..! سقط الكيس من يدها، وتبعثرت كل أشياءها، دفعت أمها برفق.. وأخذت الجريدة.. خطفتها أمها صارخة: لا!!!!!!

لكنها استرجعتها وقرأت: «مجموعة إرهابية تستولي على الثكنة العسكرية... بمدينة... راح ضحيتها سبعة جنود، وأعدم الملازم أول (...). رميا بالرصاص..!»

كنزه الثمين

نام وتحت المخدة الكيس الحاوي لكنزه الثمين هو وكل عائلته؛ زوجته.. والده.. والولدان.. كيف لا يكون كنزا وقد انتظروا هذه الدراهم زمنا من الفقر والعري والجوع؟ كيف لا يكون؟ وهي ثمن قطعة الأرض الوحيدة التي يمتلكونها شراكة مع كل عائلة أبيه، وبعد نزاع وخصام ومشاكل بيعت، وكانت حصّتهم ثلاثون مليون سنتيم جزائري!
لم ينم، بات يتقلب قلقا، فيومه غدا طويلا.. سينزل

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

المدينة باكرا، ثم ماذا؟ سيبدأ باقتناء كل الطلبات.. أجل!
كلها.. فلن يتركهم للانتظار بعد، فقد شعبوا انتظارا عقيما:
كرسي متحرك لوالده، وبطانية جديدة، فبطانيته ما عادت
تدْفَى.. فستان وحذاء لزوجته، وقميص نوم وأحمر شفاه..
أجل! إنها تستحق.. لِمَ لا؟ الولدان.. أمممم.. لباس.. أحذية..
محافظ.. لن يحملوا بعد اليوم أدواتهم في أكياس بلاستيكية..
لن يضحك منهم الأطفال.. لن تشتمهم المعلمة بعد اليوم..
لن يصرخ المدير بوجههم.. و كرة.. شوكولاتة وحلوى
لكليهما، وسريرين.. أجل! سريرين وفرشين ملوّنين.. لن
يناما بعد اليوم على أفرشة رثة على الأرض.. أبدا.. أبدا.. و
مدفأة كهربائية.. وأكل.. أكل كئيبير.. لحم، رغم أنه لم يعلم
بشمن اللحم منذ.. منذ..! لا يهتم منذ متى.. وسيشتري دجاجا
وفواكه.. أجل! سيشتري الموز.. فالولدان لا يعرفان طعمه..

وأنا؟ ماذا عني أنا؟

سأكتفي بحذاء، فحذائي ما عاد صالحًا للتصليح، وهاتفا
نقالا.. وسأجلس على المقهى، وأتكلم حتى لو لم يطلبني
أحد.. سأتظاهر بأنني أتكلم..

غفّت عيناه فإذا الدّيقة تصيح.. قفز من فراشه على
عجلٍ.. توضأ وأدى فرضه.. رفض أن يفطر مؤكدا لزوجته

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

أنه سيفطر في إحدى محلات المرطبات التي لطالما اشتهى دخولها ولم يفعل.. ودّع زوجته ووالده، ثم قبّل الولدين. وحمل الورقتين اللتين تضما طلبات كل منهما، وانطلق قاصدا محطة الحافلات.. وكان اليوم يوم الثلاثاء وهو يوم السوق الأسبوعي بمدينة «الميلية».. قال في نفسه: ربي يستر من قطاع الطرق واللصوص المتربصين بالمتسوقين..!

كان الطريق ضيقًا ومظلمًا، وفي المنعطف المغطى بأشجار الزيتون الكثيفة انقضت عليه يد همجية مجرمة سادية عابثة بسكينٍ حادة أردته بلا حراكٍ سالبةً ما في جيبه من أوراق.. و ما في قلبه من أحلام غير عابثة بمن في البيت يتظرونه.. ولم يعرفوا بأنهم أبدًا بعد اليوم لن يرونه..!

هي.. و هي..!

كانت - عن قناعة أو عن حب مشاكسة أو حسد أو غيرة
فهي لا تدري، فكثيرا ما تمتزج المشاعر داخلنا في غير
تجانس، فلا نعد ندري مكنون بواطننا، وماهية مشاعرنا، ولا
دواعي سلوكياتنا - تتربّص بمنشورات تلك الكاتبة الكبيرة،
كلما نشرت انتقدتها ونعتتها بالخروج عن العرف و الخلق
وكسر الطابوهات و الترويج للخيانة الزوجية و التعددية
العشقيّة، و بأن أذها هو أدب مراهقين و غرف نوم....ها

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

هي تنشر أولى رواياتها بعنوان: (ألف قبلة.. وقبلة).. صورة الغلاف ولا أفصح! النصف العلوي لجسد امرأة شبه عارية بثديين متفخخين مشدودين تثير حتى من يعاني من انخفاض نسبة هرمون التستوستيرون.. عبارات ملتبهة.. وصف مدقق لما يوصف، وما لا يجب أن يوصف.. إثارة مغرضة.. قدّمت لها انتقادات، فقالت: هذا ليس بيدي.. إنه الوحي والإلهام.. الفكر طائر مخلوق لا يجب وضعه في قفص الأخلاق وسجن المعتقدات وخرافات الطابوهات!

ذاكرة الحلم

كم كانت تحلم أن تكتب وتبدع نثرا، وتقرض شعرا،
وتسافر إلى كل الدنيا؛ القاهرة ودبي وباريس و لندن..
وتحضر المعارض.. ويتهافت المصورون لتصويرها كنجوم
هوليود، لكنها لم تفعل! ليس لغياب موهبة أو نقص ثقافة..
ولا.. ولا.. فقط لأنها تعيش في مجتمع متربص للانقضاض
على الآخر.. مجتمع متخصص في تليفيق التهم، والناس في
بلادها لا ترحم!

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

قالت تحدث أناها: كلما أردت أن أكتب وجدنتني أصطدم بواقع مريّر.. الطابوهات الاجتماعية والأعراف تقف حاجزا أمام حرية الإبداع، وتغربل أفكاري أوتوماتيكيا.. لا شعوريا بالرقابة السيكوسلوكية.. المشكلة أننا نعيش في مجتمع متفوق على ذاته يمارس تسلطه العرفي بقوة تفوقت على قوة الدين والقانون، وتلك التنشئة الاجتماعية، والفكر عقائدية تنغرس في أعماق الروح، فيصعب التخلص منها حتى بالتدخل الجراحي، فهأنذا أعيش في مجتمع متحرر، لكن لا أسلك سلوكهم، ولا أمتلك تحررهم الفكري والعاطفي لأن الذاكرة الجمعية تلاحقني أينما كنت على سطح هذا الكوكب، فمجتمعاتنا العربية مجتمعات مريضة.. إسقاطية.. متربصة.. شغلها الشاغل إبداع الكنيات وتشخيص الأمراض دون وصف الدواء، فإن كتبت عن ملحد أنت ملحدة، وإن كتبت عن الخيانة، فقد خنت يوما ما، وإن كتبت عن مومس، فأنت عاهرة.. وإن كتبت عن الاكتئاب، أنت مكتئبة.. وإن كتبت عن الوحدة أنت تعيشينها.. مع أن الإنسان في الحقيقة غالبا لا يكتب عما حدث و لكن يكتب عما يمكن أن يحدث.. عمّا يتمنى لو حدث.. عما يسمعه ويراه.. عما حدث لغيره.. يكتب حتى عمّا لن يحدث.. كيف تكتب والمجتمع سيحاسبها مرتين؛ الأولى لأنها كتبت، والثانية لأنها امرأة وتجرات، و كتبت .

قالت: لكني الآن أعيش في أوروبا ويمكنني أن أبداع وأكتب..

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

لكن أين سأُنشر كتاباتي؟ ومن سيقراً عاري؟ أليس هم هناك.. أولئك الذين يطبقون على صدرك.. يعدّون أنفاسك.. يحرّمون عليك حتى الحلم والاحتلام! يتدخلون بلباسك، وبطريقة مشيك وكلامك وعلاقتك بربك و بزوجك.. يتجسسون على قمامتك ليعرفوا ما كان غداؤك وعشاؤك..؟!!

كيف تكتب في مجتمع يجعلك عاهرة لأنك وضعت نظارة أو قدت سيارة.. ينعتك بالدنو والخزي لأنك كلمت رجلاً، أو لبست سروالاً، أو تكحلت، أو وضعت أحمر شفاه.. يحاسبك إن طُلقت أو تطلقت.. يحاسبك حتى لو ترملت، ويسميك (هَجَالَة)، وإن تزوجت بعد زوجك فقد ارتكبت خطيئة وعارا، وإن طالبت بحقك في ميراث أبويّ نُبتت.. وإن... وإن ..

استفاقت من هواجسها على صوت المريضة الممددة أمامها على السرير وهي تقول باشمئزاز:
- أنت أيتها الممرضة.. أنت هنا لخدمتي، أم للذهاب إلى القمر؟ سألتك ثلاث مرات متى سيمر الطبيب ولم تجيبيني.

مسحت دمعة وحيدة باردة من على خدها، وقالت بانكسار:

-حاضر سيدتي.. لا تقلقي! سأسأل حالا.

الغربة امرأة

تسألني لم أبكي يا فتى؟

لأنني مجرمة بلا جرم.. عاقبة بلا ذنب.. ومهما كبرت أو
صغرت.. مهما طولت أو قصرت، أظلني بلا نسب ولا أصل
مهما عظم نسبي إلى أن أنسب لرجل!

أنثى، ومالي غير الأدمع كالسيل.. كالسلسيل تنهمر،
تغسل روحي والهموم.. من ضلع أعوج خلقت.. قيل إنني

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

في صورة شيطان أقبل.. وعلى هيأته أدبر.. قيل إني الأفعى
بسمّها، والجنّيّة بمكرها.. بيدَ أني لأهلي مطعية.. حانية..
مُحبة.. وعند زوجي الخادمة والعشيقة والممرضة والمريية
والمعلمة و السكرتيرة و المعيلة إن لزم ..

أنزف و من رحم الألم أهب الحياة والأمل.. من عصارتي
تغذّي الأنبياء، وعلى يديّ تربي الأتقياء، فهل من شاكر؟
هل من ذاكر؟ و ما المعنى إن وجد؟ إذا أحسنت ألا يُقال إني
رجل؟ وإن أساء الرجل نعتوه بامرأة؟ عجيب أمركم يا عرب!
تظل المرأة مرأة إلى أن تبث أنها رجل، ويظل الرجل يكابر
ويجاهد ويخفي ما ظهر له من بواطن ليثبت أنه رجل!..

أنا غربتي هنا جسد مجمد تحت الجليد.. ممددا داخل
إغلو (igloo) الحياة.. أنتظر الربيع أن يجتاح وحشة مدينتي
الضبابية، والضوء الساطع أن يغشى صمت الموت للحياة هنا،
تمثال أنا في متحف الشمع مومياء إلى حين يعاد بث الحياة في
شراييني، قد يذوب الثلج غدا، ويصنع إكسير الحياة أمس، قد
آتيكم فراشة طائرة، فلا تكسروا أجنحتي.. وقد آتيكم محمولة
في أسفل (كلارغو) فلا ترثوني، ولا تؤبنوني، فقد اخترت الموت
وحدي كما كنت أفرح وحدي.. لم أشرككم أفرحي، ولم
أشارككم أحزانكم من يوم اقتدت إلى منفاي بلا محكمة، ولا
حكم.. فلا تلبسوا الحزن عني، أنا غربتي هناك.. وهنا.. إن

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

مضيت هناك أحببت هنا، وإن عدت هنا رثيت الـ«هناك»، وكم من امرأة غربتها هناك بينكم وفي عقر دياركم ..

فإن متُّ لا تعبؤوا بي، وامضوا بدوني كما حملتني ذات يوم ومضيت إلى قدري غير عابئة بما ذرقتم من أدمع .. أنا غربتي هنا بعيدة عنكم .. وأنتم غربتكم هناك بغيابي عنكم .. ما كان الذنب ذنبي ولا ذنبكم .. إنه العرف والقدر، فالمرأة ظل الرجل، كان يومها الزوج أمامي، والولد يسكن أحشائي، وأنتم ورائي .. فما أصعبه من قدر! والإنسان على حب الذات فطر ..

في صباحات غربتي الجليدية .. غربتي عن كل ما .. ومن عشقت .. غربتي عن ذاتي .. بلدي .. لغتي .. هواياتي .. وكل ممتلكاتي ومشتقاتي؟! كل شيء يهرول مني ماضيا نحو اللهفة الدنيوية التي لا تعرف الوقوف والتوقف .. فأنت لي أن أسترجع ذكرياتي، وما مضى من حياتي والتوتر يغزو ذاتي من ثقل مسؤولياتي؟! حتى قهوتي ما عاد لها طعمها القديم، وكم اشتقت لرائحة الخبز الساخن، وطعم الزيت .. ما كذب من قال: أحسن إلى خبز أمي وقهوة أمي ..!

أما لياليها فلا تسلني، فإنك إن خبرت فسترثي لحالي ..
امرأة عصية الدمع أنا .. أمقت الرثاء .. كل ليلة أنغرس في

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

وسادة فاخرة ناعمة لم تدرِ أن قدرها حمل رأس كراسي..
مثقلة بخطى أيام تعيشني بمشتهاها.. رأس تنقلها أفكار تعفنت
من كثر اختمار..

في ليل غربتي أفتح نافذة لي على وطني، وأبدأ بعد أحبتي
ذكرى.. ذكرى.. وخبراتي فرحا.. فرحا، وفرحا.. جرحا.. جرحا..
ويباغتني الفجر، فترميني وسادتي التي ملت الأدمع.. ولا
أنام....

طقوس في الظلام

كانت صحفية ناجحة ومغامرة وابنة رجل أعمال.. قررت كشف سرّ ذلك النجم الكبير الذي ذاع صيته في المدينة مؤخراً.. اتفقت مع صديقتها الشرطة.. تنكرتا بزّي متحجبتين منقبتين، وقصدتا وكر الدجال..

استقبلهما الخادم في غرفة الانتظار المكتظة بالمنتظرين.. أغلبهم منتظرات.. طال انتظارهما حتى كادت أن تغادرا، لكن الخادم نادى عليها، تبعته وبقيت صاحبها الشرطة تنتظر.

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

أخذها الرجل في سرداب طويل قليل الإضاءة، وبدأ باستجوابها: - سنك وعملك وهل أنت متزوجة ؟

قالت: لِمَ كل هذه الأسئلة؟

قال: أنت هنا لتُسألِي وليس لتَسألِي..

أجابته مغيرة كل شيء في هويتها.

انتهى بهما السرداب إلى غرفة مظلمة.. كادت تعود أدراجها: يا إلهي! أين أنا؟ لكنها تشجعت.. دخل، وكلم سيده همسا في أذنه، ثم أوما لها أن: اقتربي ..

دخلت.. كاد رأسها يلامس السطح لشدة انحداره، الغرفة شديدة الظلام.. لم تر إلا شيئا أسود مكوما على أريكة حمراء.. لحيته بيضاء تغطي صدره.. أمامه موقد تفوح منه روائح غريبة.. بين يديه سبحة تتناوب حباتها تحت أنامله.. كان يتمتم بكلام خافت يزرع الرهبة في النفس.. أحست كأنها تعرف هذا الشخص لكن لم يكن صحيحا، فهي لم تزر دجالا في حياتها، ولم تره إلا في المسلسلات العربية .

قال الخادم: الدفع قبل الكشف يا سيدتي..

أومات برأسها إشارة عن الموافقة.. أخرجت ظرفا محشوا بالمال.. ناولته إياه متممة: « اللعنة إنه نصف مرتبي! »..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

-اجلسي!

جلست على بساط معدّ للمرضى.. ناولها الخادم كأس ماء، وقال: اشربيه إنه مبارك.

ارتعدت فرائسها لكنها اضطرت لشربه.. أحست بدوار.. قال: استلقي قليلا الآن يكلمك الشيخ، واطرحي مشكلتك عليه!

لم تشعر إلا بيدين تداعبان جسدها، وتنزعان ملابسها وهي خائفة القوى لا تتمكن من المقاومة.. أحست بشيء يخرق أحشائها، وفمّ يلتهمها، وحبّات عرق تقطر على وجهها.. لم تستسلم.. ظلت تقاومه وهو يلهث فوقها كالكلب، ثم صرخ: اللّعة عليك يا كلب يا غبي.. إنها عذراء.. عذراء..!

أخيرا تمكنت هي من دفعه.. ارتطم رأسه بالطولة.. تساقط الجمر على لحيته، فصرخ.. وصرخت.. أسرع الخادم بإشعال الضّوء ونزع اللّحية المزيفة عن وجه سيّده.. ظلت تصرخ كالمجنونة: لا.. لا.. لا.. لا.. غير ممكن.. غير معقول!

كيف لا تجن وهي تكتشف وجه مغتصبها.. هاتك عرضها.. فاض بكارتها.. حاميتها.. محرمها..!

سمعت الشرطيّة الضّجّة.. أسرع إلى الداخل.. رأت

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

صديقتها ممزقة الملابس غارقة في الدم .. لم تشعر إلا وهي
تشهر مسدسها على الدّجالِ ضاغطة على الزّنادِ.. أسرعتِ
الأخرى واحتضنته صارخة : أبيييييييي!
فاخرقت الرّصاصة قلبها بدل قلبه...

الخطاب السادي

كان الربيع قد ولد خديجا جميلا وبديعا، وكان حطّابا
نرجسيا ساديا.. كانت الأغصان الغضة قد أينعت قبل أوانها
كأنها تتحرش به.. تثيره.. تنادينه .

دخل الغابة مستنشقا روائح ضحياه التي تنعش غرائز..
الوحش السادي الساكن فيه حاملا فأسا قد سنها عمدا.. مشى
غير عابئ بأن أقدامه الضخمة تدوس زهر الأقحوان الذي
افترش بساطا أبيض احتفاء بالربيع.. انسحقت تحت نعليه

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

زهور شقائق النعمان الفتية، تهاوى بفأسه السوداء القاسية كقلبه على الشجرة غير عابئ بشمارها الصغيرة التي تناثرت على الأرض، فأدمت فأسه الغصن اليتيم! صرخت الشجرة صراخا موحشا اهتزت له أدغال الغاب.. فرت الطيور التي غدت شريدة بلا وطن بعد أن دمر أعشاشها الحبلى بالبيض فتكلها وانطلقت حزينة تبحث لها عن لجوء في حضن شجرة أخرى، وغابة أخرى.. كان حطابا عابثا يشعل النيران ولا يطفئها.. يجرف الأراضي.. يتلف كل ما ينبت..

ترك الغابة غارقة في الغبار والدخان والرماد والبكاء والعويل، ومضى يبيع حطبا، وبثمنه قصد حانة المدينة يغازل النادلة، ويملا كاسا بعد أخرى..

كانت النادلة تثيره كالغصن.. تزيد رجولته طولا، وفحولته قوة وتتسبب في تدفق التستوستيرون من غدده الصماء، وتصيبه بالعمى الروحي.. ها هو يسحقها تحته كما سحق الأحقوان والنعمان.. أنينها يشبه أنين الغصن.. يتخلص من فائض نطافه في أحشائها.. يرميها بما تبقى في جيبه من ثمن الحطب.. يرمقها بازدراء واشمئزاز.. ويمضي...

بحيرة الرب

اكتظت الكنيسة بالجلوس.. الجور رهيب.. مقفر.. مخيف..
الكل ساهم كالمغشي عليه.. العيون غائرة، والنفوس وجلة
يغشاها إحساس لا تفقه كنهه؛ إحساس سرمدي باللاشيء
كأنها تخشى أن يفتح التابوت، وتمتد يد قوية لتسحبها معها
إلى ذلك العالم المظلم سبعة أسفار تحت مستوى الحياة..
يكسر الصمت بدخول الكاهن مثقلاً بزيتته، ويبدأ في تأيين
الراحل بما فيه وما ليس فيه.. ها هو يكذب ويقول أن أباه

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

كان.. وكان.. مع أنه كان سكيراً، وكم من مرة وُجد يقضي حاجة شهوانية مع عجل من العجول.. يتلذذ بالعجل حياً، ثم بلحمه مشوياً.. عُزفت سمفونية الوداع.. موسيقى تبعث في الروح إحساساً باللائتِماء.. بالضياء.. تمتزج المشاعر بين حزن وألم...

انتهت مراسيم الدفن، تفرق الجمع إلا منها وكلبها (فيدال).. أَلقت نظرة أخيرة على منجبتها في مشواه الأخير، ومضت حاملة يتمها العتيق، فاليوم قد أعلن رسمياً يتمها الذي ولد من ثنايا طلاق أمها وسفرها بعيداً، وهجر منجبتها لها وهي ابنة السادسة عشرة ليقيم عند عشيقته، وتكابد هي الحياة وحيدة.

كانت تسير عائدة إلى البيت المهجور.. أحست بالوهن.. جلست تستريح على شط بُحيرة وكلبها باسط ذراعيه قربها، لم تملك نفسها عن الغوص في استبطان عميق، وفكر عنيد: مخلوق يأتي من العدم، يظل يدور كعقارب الساعة، يُفنيه الانسحاق اليومي تحت عجلة الزمن، والخوف من المجهول ومن ذلك الوحش الشره الذي لن يكف عن التهام الأرواح، وبصق العظم إلى أن يذبح يوماً ما على عتبة الأزل.. ذلك القناص الذي يولد معك ويظل ينتظر ويتلذذ بهواجسك إلى أن ينقض عليك في لحظة مباغتة، فإذا أنت تجتاز البرزخ الدنيوي

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

إلى عالم يُبعدٍ آخر، ولون آخر وعرف غير الذي تعرفه..
الزمن أكبر خدعة؛ يوهمك بأنك تزيد بيد أنك تنقص، فكلما
زاد يوم في سنك، نقص يوم من عمرك، وكلما تقدمت خطوة
في الحياة، اقتربت خطوة نحو الفناء..!

الآن فقط من حقها أن تحزن وتكتئب دون أن يلومها أحد،
أو ينظر إليها الناس بنظرة استغراب وشجب وخوف.. اليوم
من حقها أن تتصرف على طبيعتها.. أجل! ستطلق العنان
لحزنها وكآبتها.. لن تجبر على تصنع البسمة والمجاملة،
فأبوها قد مات ومن حقها أن تحزن.. إن هذا الفكر اللعين
سيودي بي إلى الجنون (قالت..).

سمعت الكاهن يعيد ما قاله في خطاب الأحد الماضي:
التجربة الأجمل والأروع والأعمق التي يمكن أن يخوضها أي
إنسان هي الغوص في الغموض، فعلى سطحه تتكون العقائد
والديانات والمبادئ وكل نشاط فكري راق وجاد وهادف
من علم وفن، فمن لم يغص في عمق المجهول الغامض،
يحيا حياة الموت الفكري بكل تفاصيله، و العمى العقلي
المستديم.. أن تحس دو ما أن وراء كل ما تعرف وما اكتشفت
هناك أشياء انزلقت.. أفلتت من تلافيف وعيك ومن فهمك
وطاقة إدراكك المحدود مهما فاق، هذا ما يعطي للفكر الحافز
على الاستمرار في النشاط والعطاء والبحث والاكتشاف، وغير

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

ذلك يصيب الفكر بسكّنة فكرية، وذلك الغموض هو ما يمنحك الإحساس بالرفعة والجمال، ويجعلك جوهرًا مختلفًا عن باقي الكائنات البيولوجية، ويكفي أن تقف مبهورًا أمام كل معرفة ميتافيزيقية وبارابسيكولوجية لتستقرئ الرفعة والسمو الفكري والعقائدي والأخلاقي .

ها هي الآن تفعل، فلتُبَحْ لنفسها بمكنونات نفسها..
فلتُعْص في الغموض، فالريح قد جرّت باتجاه شراعها .
لكن الكاهن قد نهى أيضا عن الحزن ودعا للسعادة، ألم يقل: في جوهر الكائن البشري وطبقات ذاته العميقة الغابرة في الوجود، الراسخة في تلافيف اللاوعي قوتان تتصارعان منذ الأزل ألا وهما: قوتَا البناء والهدم.. غريزتا البقاء والفناء.. حالتا السعادة والكآبة.. إذن؛ السعادة موجودة في داخلنا.. في فطرتنا.. أجل! إنها هنا.. ما علينا إلا مد أيدينا واستخراجها كما استخراج البترول من أعماق الكوكب.. السعادة خبرة وليست موهبة.. علينا أن نتعلمها كما نتعلم المشي والكلام.. السعادة خبرة علينا أن نتقنها كما نتقن القراءة والكتابة.. السعادة عقيدة علينا أن نؤمن بها ونستقبلها ونجعلها تطفو على سطح عقولنا وتتجلى في سلوكنا، و نوظفها لخدمة الحق والخير والفضيلة، و كلما تذوقنا السعادة أحببناها وصعب علينا الاستغناء عنها، والسعادة ليس أن نكون سعداء فحسب، وإنما

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

أن نرى الفرح والبهجة في عيون الآخر، وهذه هي السعادة في أرقى وأسمى معانيها ومفاهيمها.. ولأن السعادة شعور نصنعه بأثمن الوسائل كما بأبسطها، وإذا كنا غير قادرين على تغيير الكون، فنحن قادرين على تغيير شعورنا تجاهه، ويجب ألاّ نكتفي بالتجاوب مع الخبرات التي تسعدنا، بل علينا أن نسعى للبحث عن السعادة، ولأن السعادة إحساس مُعدّ، فكلما كنا أكثر سعادة، كلما انتقل هذا الشعور للمحيطين بنا، وهم سينقلونه لغيرهم.. وهكذا.. فلو اقتنع كل واحد منا أن سعادته ستسعد من يحب، ستصبح السعادة واجبا أخلاقيا واجتماعيا. أين هو هذا الجوهر؟ لِمَ لا يظهر لها؟ لِمَ لمْ تعثر عليه؟ أم أن الكاهن يكذب؟؟

ربتت عليها يد في الظلام، ولفتها ذراعان ظنت أنها تعرفهما، وقال صوتٌ تراتيله مألوفة لأذنيها:

-الكاهن لا يكذب يا عزيزتي! هو يحبك.. يحبك أكثر من ذلك السافل الذي أنجبتك، فقط كوني لي، ولن تندمي! حاولت أن تصرخ.. كتم نفسها براحته.. نبج الكلب ثم سكت..

أصبحت تلك القرية الهادئة الساكنة على غير عاداتها.. حركة وضجيج.. سأل الكاهن خادمه: ماذا حدث؟

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

-يقال إن (سارا كيم غانيون) وجدت مقتولة قرب بحيرة الرب .

-ماذاااااا؟ (سارا كيم) التي دفنا أبها البارحة؟؟

-أجل يا سيدي! هي

-يا للهول! هيا بنا.. أسرع لنرى ما الأمر...

وصل الكاهن.. جَمَعُ من الناس يحيط بالجثة الهامدة..
وصلت سيارة الشرطة والإسعاف.. بدأ كبير الشرطة يستجوب
الجمع ..

قال أحدهم: هي (سارا كيم غانيون) ابنة (إيفون غانيون)
دفناه البارحة.. مسكينة!

قال الآخر: هي تقيم وحيدة في ذلك المنزل منذ عادت
والدتها إلى بلدها الأصلي (المكسيك)، بعد أن اكتشفت
انحراف زوجها، وشدوذه، وميوله الجنسية للحيوانات..

قال ثالث: أجل! كان أيضا سكييرا ولصا..

قال الشرطي: دعونا من والدها! هل كان لها أعداء.. أو
مشاكل مع أحد؟

قالت عجوز: أنا جارتها وعرابتها، لم يكن لها أعداء ولا
مشاكل!

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

-هل كان لها صديق أو رفيق؟

-كانت تحب شابا استمرت علاقتهما ستة أشهر، ثم انتحرت.. ومن يومها وهي تعيش حالة اكتئاب و توتر..

قال الكاهن أجل.. أجل كانت مكتئبة، وكم حاولت الانتحار.. أكيد أنها انتحرت.. أكيد!

العجوز: غير ممكن!

الخدّام: فعلا! لقد جاءت قبل أيام إلى الكنيسة، وكانت محبطة وتقول أنها تريد الموت، وقال سيدي إنها مهرة فاتنة، وتستحق حياة أفضل..

الشرطي بصوت متهدج: لم تتححر وإنماقتلت بضربة عنيفة خلف الرأس، والجثة عليها أيضا آثار اغتصاب .

العجوز: مسكينة صغيرتي.. ظلت عذراء رغم كونها في الثالثة والعشرين، وها هي تغتصب وتموت..

صرخ الكاهن: لم تكن عذراء.. لم تكن عذراء!

الشرطي: وما أدراك؟ ثم ما هذه الخدوش على عنقك؟ وما به معصمك مضمّد؟

الكاهن: الخدوش..! كنت ألعب قطتي فخدشتني

اقرب الشرطي من الكاهن.. فك الشريط الملفوف حول

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

معصمه، صرخ: يا للهول! عضة غائرة.. هل لاعبك كلبك
أيضا؟

-أ...أ...أ...

خرج (فيدال) زاحفا من خلف أشجار التفاح البري
والأشواك المتشابكة وبين أسنانه ميدالية ذهبية مقطوعة نقش
عليها صليب وأول حرف من اسم الكاهن..
و وضع الشرطي يده على كتف الكاهن وقال: تفضل
معي.. للكهنة أيضا نزوات.. و زلات!

زهرة الأوركيد

كانت متكبرة مغرورة مكابرة، وجميلة فاتنة.. كان طيبا ويحبها، تكلمه يوما، وتقاطععه ثلاثا.. تنظر إليه باستكبار وعجرفة.. لطالما سأل نفسه: لمَ تزوجتني يا ترى؟ أتحبني وتتمنع حتى يزيد شوقي لها؟ لكن هذا كثير..! مرت أكثر من سنة على زواجنا، لم نعش فيها الحب إلا نادرا.. إنجاب؛ لا تريد أن تنجب! جنتني هذه المرأة.. جنتني..! إذا غازلتها، هجرتني.. إذا دلتها، زجرتني.. إذا أهملتها، لاحقتني وخنقتني:

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

«أين؟ ومتى؟ ومع من؟ و.. تحرّم عليّ ما تحل لنفسها، حتى
غدت بتسلطها الرجل، وأنا المرأة!»

ركب سيارته وانطلق ليقضي ليلته في المكتب.

فتحت باب المكتب.. تفاجأت:

- آسفة يا سيدي لم أعلم أنك هنا ،

- لا عليك.. تفضلي،

كانت رقيقة كالفراشة، باسمة الثغر، وضعت باقة زهور
برية على المكتب.. كانت تعامل الزهور بلطف، وتحنو عليها
كي لا تجرح وريقاتها الهشة .

- من أين اشتريتها؟

- لم أشتريها قطفها بنفسني من منتزه

- ما أجملها ! اجلسي

- حاضر

وجلست قبالته.

- ما رأيك بي؟

- رجل قمة في الخلق والأدب.. ناجح في عملك.. لكن لم

تسأل.؟

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

-هي لا تراني هكذا.. تنظر لي باستعلاء واستكبار.. لا
تبسم.. لا تمزح.. لا.. ولا ..

-إنها فقط تتدلل..

-ليس دلالة.. لا أظنها تحبني، ولا أفهم لِمَ تزوجتني؟!
قولي لي ما هو الحب في نظرك؟

-الحب الحقيقي لا يضيق خناقك، بل يحركك، يعلمك
كيف تتنفس ملء رئتيك لأنه يعي أن الآخر ليس من ممتلكاته،
بل «أنا» مستقل بذاته، وإن أعطى شيئاً فبمحض إرادته، وما
يأخذ بالقوة لن يكون حبا، وليس له طعم.. ولا اغتصاب في
الأحاسيس، ولا معنى للاستئثار بالمشاعر، والتزين بالمظاهر،
نعم جميل أن نكون معا لكن نحتاج أيضا للانفراد بذواتنا
أحيانا لترميمها.. للومها.. لعتابها.. لشحن بطايرتها.. لتجديد
قاموسها.. لتنظيف الغبار العالق بالذاكرة.. لصيانة الأوردة..

كنا قبل الحب أنيين مستقلين لكل منا طباع ومميزات
وخبرات وذكريات وانهمامات وانتصارات، وارتباطنا لن يلغي
ذلك.. قد نتنازل.. قد نتوازن، لكن يجب دائما أن نحافظ
على مسافة بيننا حتى لا نتصادم.. فنصدم.

الحب يبدأ بحب الذات، فمن لا يحب نفسه، لن يحب
الآخر، وإن لم تعتن بنفسك، فلن تكون لك القدرة ولا الطاقة

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

للاهتمام بالآخر، وحتى تسعد الآخر، يجب أن تكون سعيداً،
ففاقد الشيء لا يعطيه!

- ما أروع كلامك.. وما أجمل فكرك!.. هي تظن أنني
ملك لها.. لعبة تتسلى بها متى شاءت، وترميها أنى شاءت..
تريد أن تضع في رقبتى حلقة، وتجرفني كما تجر ذلك «الكانيش»
الذي ينام في حضنها كل ليلة، بينما أنام أنا في حضن وسادة..!
عاد إلى البيت.. كانت مستلقية تشاهد التلفاز.. لم تأبه
له.. جلس قربها، وكلمها بنس بينت شفة، قالت له: أصمت!
أريد سماع الحصة..

قال: أيوجد عشاء؟

- الثلاجة فيها أجبان وزيتون ولحوم باردة.. اعمل
«سندويشا» ونم خفيفاً..

- لم تزوجتني.. لم؟

ظلت ساكته، وهو يزداد حنقا لتجاهلها له وعدم ردها
على سؤاله.. صرخ: أجيبني.. أجيبني..!

صرخت: كان تحدٍ ورهانا راهنت عليه الزميلات، وفزت
بالرهان.

- ماذا؟!!

بُحيرة الرُّب وقصص أخرى

- أجل كنت خجولا مؤدبا، وكانت تحبك، وتريدك، وأنا قررت أن أخذك، وراحتها على ذلك.. وفزت بك.

-عمن تكلمين؟ عن (زهرة)؟ ما أغباني! فعلا كنتما سكرتيرتان لي و...

-وماذا؟ ها.. ماذا؟ أنا صرت زوجة صاحب المصنع، وشريكته، وهي بقيت.. وستبقى سكرتيرة وضيعة.
رمقها بنظرة ازدراء، وفزّ واقفا.

-إلى أين؟

-لن أعيش بقية عمري مكافأة رهان يا مولاتي.. أنت طالق.. طالق.. طالق..

كانت زهرة جالسة في المرح وبطنها يحمل أملا جديدا، قال الطيب أنه توأم جميل؛ بنت وولد.. كان هو يجمع باقة من الأقحوان وشقائق النعمان.. مرت هي تنزه كلبها «الكانيش».. رمقتها باستعلاء، وقالت :

-أصبح ذوقك منحطا فبعد أن كنت تحتفي بالأوركيد، صرت تجمع شقائق النعمان.

- أصبحتُ أفضل الأزهار البرية لأنها جميلة وهشة وبسيطة ومتواضعة ووفية لحضن منبتها وأصلها.. حساسة

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

ومعطاءة، وتفضل الموت على أن تعيش خارج أرضها..
ليس كالأوركيد المغرور المتكبر المفاخر بنوعه، الخارج عن
التقاليد.. زهور تتمتع بالجمال والغرابة في نفس الوقت، لا
وفاء لها فقد تجدها على ضفاف الأنهار أوفي الغابات، وتعيش
أياماً حتى داخل مزهريّة زجاجية..

اليتم

كان يزمجر جارا وراءه شكلا مقعرا إلى المصعد الكهربائي.. كان ذلك الشكل المقوس عجوزا عديم الأمل أثقلت كاهله خطى الأيام والسنين العجاف.. سنين الجمر أكلت لحمه ووَهَّنت عظمه، و غيرت خارطة جسمه بحفر الأخاديد العميقة ونحت التجاويف.. هذا الشبح الشاحب الهزيل المرتعش من ألم الباركنسون، المتعب من تلاطم أمواج الزمن وتخبطات الأيام وتقلبات المناخ.. كم عصفت

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

به الزوابع، وتراقصت على ظهره الأشجان.

هذا الذي كان شجرة شامخة لا تهزها الرياح.. زيتونة عتيقة
فروعها ضاربة في السماء و جذورها ثابتة في أعماق الأرض..
هذا الذي كانت تضرب جذعه فأس من فولاذ فتكسر..

أكلوارطبه جنيا، ورموه جذعا خاويا من كل شيء إلا
من غصته والتناهد.. إنه اليوم مهموم مذموم.. لاحول له
ولا قرار.. رأسه جلى بالهواجس والتساؤلات: إلى أين
يجرّونه في ساعة كهذه كالكبش إلى المذبح.. كالمحكوم إلى
ساحة الإعدام؟ ما وزره؟ أي ذنب اقترفت يداه إلا أنه يوما قد
وهب الحياة لمن سيسحبها منه، ويرميه إلى هامشها وينسأه في
رف مهمل مع الأشياء القديمة يملأه الغبار، وتغشاه الوحشة
الرهيبة.. ويزيحه عن بقعة الضوء إلى الركن المظلم من
الخشبة..؟!

ها هي المسرحية قربت من النهاية، وستسدل الستارة
السوداء دون تصفيق، وسيحال مجبرا على التقاعد، ولن
يكون له بعد اليوم لا دور بطولة ولا حتى دور «كومبارس»
بئس.. لن يكون حتى متفرجا! وهو الذي كان بالأمس
الكاتب والمخرج..

كانت السيارة تجري بسرعة في تواطئ خبيث مع من

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

يقودها لإيصاله للمستقر المراد.. سأل بصوت متحشرج كمن يصعد في السماء: إلى أين نمضي يا ولدي؟

لكن ذاك الذي كان هواه وسلواه ومنتهى مناه لم يجب لأن سماعة سوداء سدّت منافذ أذنيه، وموسيقى شيطانية عابثة منعت عنه المسمع.

في الرواق الرمادي استقبله شخص بملامح قاسية.. ملامح من تعود رؤية كل أشكال الدمار، فاكسب مناعة ضد التأثير والتفاعل، قال بصوت خشن مستعجل كمن تسلم بضاعة يريد ركنها في مكانها المخصص و يستعد لاستلام أخرى: سريرك يا الشيخ..

استدار للوراء يستجدي عطف الزمان علّ الدهر يحن ويغير قراره الجبري الظالم، لكن الدهر كان قد مضى مسرعا كعادته غير عابئ بمن يُسحق تحت عجلاته من ضحايا فالموت عندما يأتي يختطف فريسته ويمضي غير عابئ ببيكاء الأيتام ونواح الثكالي والأرامل.. يئس من أمل العودة.. فقد ضُرب برزخ بينه وبين الحياة، ولا مجال للعودة.. لقد منحه الدهر شهادة وفاة سابقة عن أوانها بدل شهادة التقدير التي طال انتظارها..!

استدار ليلقي نظرة على مثواه الأخير، فرأى أباه جالسا

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

على ذلك السرير الصديء والأفرشة البالية في نفس الغرفة
الحزينة من دار المسنين الكئيبة!..
ليس اليتيم من فقد أمه أو أباه، وإنما من تخلى عنه
وَلَدُهُ...

الجزّار

كانت في المرعى مع باقي الأبقار عندما جرّها بعنف،
وحبسها في الإسطبل فارضا عليها مضاجعة ثور هولندي
ضخم لتتهجين سلالة ثيران المستقبل، وتحسين نوعها.
اغتصبها ذلك الثور العنيف رغم أنها كانت تفضل ثورا
من ثيران المرعى .

حبلت رغما عنها، ووضعت عجلا جميلا لكنهم لم
يعتقوها.. ما زالوا يواصلون استعبادهم لها، وعنفهم معها..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

غيروا ريجيم أكلها، فحرموها من الأعشاب التي تحب
وفرضوا عليها لائحة طعام جديدة تساعد في إدرار الحليب،
وتحسين مذاقه.. كانوا يحرمون صغيرها الشّرهِ من الشبع،
وبعد شربه بضع قطرات يأخذون الحليب ليشرّبوه، ويبيعوا
ما فاض منه ليشتروا بثمره ما لذّ وطاب لأطفالهم ...

كانت منبسطة في الإسطبل تداعب صغيرها بلسانها عندما
فتح الباب.. وجلّت لأنها ظنت أنهم جاؤوا ليحملوا صغيرها
لينام بعيدا عن حضنها كما يفعلون كل ليلة حتى لا يرضع
حليهم.. لكن ظنّها قد خاب هذه المرة، فهم لم يلمسوا
الصغير بل جرّوها هي.. جزعت، وتوجّست سرا.. تثبتت
بالأرض وأحست بفراق ولدها..

بدأ الفلاح يجرها وزوجته تضربها بعصى غليظة كي
تجرها على المشي حتى أدميا ظهرها وقوائمها وهي متشبّثة
بالأرض لا تريد الحراك صارخة..

-لعنة الله عليك.. بقرة جموح - قال -

رقرقت الدموع في عينيها، وكان خوارها عويلا يشق القلب
شقا.. أجبروها على ركوب الشاحنة، وأغلقوا الباب الحديديّ
عليها.. أيقنت ألا مفر لها، وأنها لن ترى ذلك الصغير بعد
اليوم، فقد وقع حكم القوي على الضعيف.. والبقاء للأقوى!

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

بعد انتهاء مراسيم الذبح والسلخ والتقطيع، عَرَض اللحم للبيع في جزارته، وأخذ ألد وأغصّ قطعة لبيته.. شوت زوجته اللحم وعند الأكل وجدوه جافا.. قاسيا.. وبلا طعم، قالت امرأته: لحمها قاس رغم أنها فتية، ردّ ضاحكا: ربما لأنني قد ضربتها وعنّفتها قبل الذبح.. هههههها.. يقولون إن الهولنديين والأستراليين والكنديين يعزفون الموسيقى للبقر، ويداعبونه قبل الذبح، فيكون لحمه غضا طريا.. هههههههه..

... وعسى

قضى الليلة ساهرا يراجع استعدادا لامتحان تخرّجه..
لم ينم إلا سويعات واستفاق مبكرا على غير عادته، فأول ما
يهاجمه القلق في الإنسان النوم، كأن الإنسان عند القلق يريد
البقاء يقظا ليحرس حياته ووجوده من أي هجوم أو سطو قد
يكون حاجزا بينه وبين تحقيق مراده، في حالة الحزن أو القلق،
تعطي النفس أوامر للدماغ بالأّينام، فلا يفعل.. وإن غفت
عينيه بعض الوقت، ستوقظه برجفة أو هزة أو كابوس..

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

انطلق يحث الخطى نحو جامعته يغذّيه الأمل بغد أفضل، وترترف فوق رأسه يمامات الفرح.. تعده بمستقبل زاهر، وخيرات.. ظل طول الطريق يخطط لمستقبله؛ سيجتاز هذا الامتحان الصعب وبعدها سينجح.. سيحصل شهادته كمهندس كيمياء.. أكيد سيحصل على وظيفة لائقة بمرتب مقبول، وسيستأجر شقة صغيرة، ويتزوج حبيبته.. وهي أستاذة ستساعده على الحياة، ومهما ستكون حياته فلا شك أنها ستكون أفضل من حياته تحت سيطرة زوجة أبيه وتسلطها و نيمتها لأبيه... مما جعل جو البيت لا يطاق.. أصبح البيت بؤرة اختناق شح فيها الماء والهواء، ولم تعد صالحة للحياة.. لكن كلما تذكر ذلك الحلم المرعب بأنه وقع في بئر مظلمة، انقبض قلبه وضاق نفسه .

تذكر أمه.. فلو كانت على قيد الحياة لفرحت كثيرا بنجاحه..

ظلت هذه الأفكار تميل به ذات اليمين وذات الشمال وهو ساهم شارد الذهن.. قطع الطريق، إذ بجسم ضخم يرتطم به.. أفاق.. كان أهله محيطون به، والطبيب يقول له: حمدا لله على السلامة..!

رد: آية سلامة ورجلي مكسورة، والسنة الدراسية قد ضاعت!؟

قال الطبيب: وعسى أن تكرهوا شيئا...

شرفة الأمل

وقفت على شرفة الأحلام تناجى الأمل، وتغزل من
خيوط الفجر أطواق الفرحة والرجاء المعجون بعصارة
روحها السلبية، ووجدانياتها الكثيبة، والحزن العتيق الساكن
بين أضلاعها الغريبة منذ غاب عنها ذلك الفارس المنتظر
الذي رماها بسهم حب، فسدد وأصاب مركز كونها، ومحرق
روحها..

غار الجرح وتعفن ونزف ألما ووجعاً لن يبرأ إلا بحضور

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

بلسمها وتوأم روحها المستتر بين ثنايا القدر/ القدر الموكل
بقتل الأحلام، وإجهاض الأمل.. القدر الذي نفى عنها
الوطن، وتركها شريفة تحبو على سطح الشوق المزروع
شوكا، وتتجرع كل يوم قطرات العلقم ومرارة الإنتظار والنظر
للشفق.. لعل الزمن عليها يشفق، والأيام بها تترفق، فترشي
الحرب لتتوقف وتعيده لها بالسلام مرفق، ففي كل حياة
جديدة، وفي نفس الساعة الكونية المعتادة للقياء تقف هناك
تترقب عودته وأملا جنينا لرؤياه، فتترأى لها أطيافه في وجه
القمر وعيون النجوم وحفيف الشجر، وتأتيها الريح بصدى
صوته وحروف اسمه، وتسمع ضحكته في صوت الليل
الشادي وهدير الوادي، وتشم عطره في شذى الياسمين وأريج
الرياحين والزنبق الحزين وورد البساتين.. فهل ستحنو السنين
وتعيده إليها هو من سكن حبه قلبها، وجرى هواه مجرى
الهواء في رئتيها، والدمع في مقلتيها، وهو أقرب لها من جبل
الوريد.. أم ستمطرها الأيام تهديدا ووعيدا، ولن تعرف لها
بعد اليوم عيدا..؟!

هل سيزف لها عريسا، أم شهيدا؟! هل ستحتضنه مخضبا
بالحناء، أم سيحتضنه القبر مخضبا بالدماء؟! وستُهدى في كلتا
الحالتين زغاريد ففي وطنها يزف الشهيد والعريس بالزغاريد
سواء.. سواء..!

المُتحدية

نظرت لوجهها، كانت ستكون جميلة بشعرها الأشقر
وعيونها الخضراء لولا ...

لولا أنفها المشوهة، لماذا خلقها الله بأنف مشوهة، هل تعمد
ذلك، ومن هي في هذا الكون العظيم حتى يتعمد تشويهها،
وبأي ذنب فعل، هل أخطأ، هل كانت زلة خلق، لكنه
الكمال فكيف يخطئ، أم أنه قانون الصدفة الغبي والعشوائية
الخرقاء، من فعل؟؟؟

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

استفاقت من غيبوبتها على صوت أمها:
- هيا إلى الطاولة إنه وقت العشاء.
- قالت بتحد: سأشارك .
- الأم : و...
- هي: أنفي؟... سأعلمه ألا يتدخل فيما لا يعنيه .
كانت فوق الخشبة ترفع صوتها الشجي المتموج كتموج
شعرها العجري الطليق, تصدح بلحن آخاذ, لم تنجح أصوات
الجمهور في إحباطها:
- إنزلي إنزلي.....، ضحك، تهكم، هذا أنف أم
منقار... بل أنف معقوف، أين المكنسة؟... ها ها ها...
أحست بانقباض في صدرها وألم في قلبها... كادت
تغادر... لكن صوتاً من الأعماق ناداها قائلاً:
- لا لا.. لا ترحلي، واصلي غرّدي وحلّقي وعلمي
أنفك ألا يقف حاجزاً في كل طريق ...
ووسط المطر والعواصف استمرّ الصوت الملائكي يغرد
وزاده الشجن جمالاً وحناناً ...
وفجأة بدأت أصوات الاستنكار تهدأ وغشت الوجوه
بسمات لطيفات، ونزلت من زوايا العيون دمعات يتيّمات تأثراً
بكلمات الأغنية...

بُحيرة الرُّب وقصص أخرى

لم تصدق نفسها وكذّبت أدنيها...
أكيد هم لا يصفقون لها, هي واهمة...
لا، بل لها يصفقون... ولم تجد إلا أن تخزّ راکعة محيية
إياهم ودموعها تنهمر على وجنتيها والورود تتساقط عليها من
كل جهة .

حصان الخشب

غرفة الطفل بسيطة فارغة إلا من سرير معدني باهت
اللون وأفرشة رثة وحصان خشبي مُلأ خدوشا وجروحا...
قالت لزوجها:

- مسكين هو طفلي لا يمتلك إلا هذه اللعبة الوحيدة
النتنة التي وجدتها مرمية أمام بيت أحدهم، ملّ بشاعة منظرها
المقرف فرماها... .

سمع الحصان كلامها فانقبضت نفسه وضاق صدره،

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

وتذكر حين جيءَ به من دكان لعب راق، وكيف كانوا يحتفون به بداية ويلمعونه بمحلول خاص بالخشب وإن غيروا مكانه حملوه برفق...

ثم مرت الأيام به والسنون، فبدأ بريقه يخفت وجماله يبهت فأصبحوا يتركونه في الحديقة تتهاطل عليه أمطار الشتاء وتدفنه الثلوج وتحرقه شمس الصيف، وتلهو به يد الخريف، إلى أن قرروا رميّه في القمامة، ولم يمنحوه حتى فرصة توديع أصدقاء اللعب وصاحبه الطفل. وظل مرميًا تلفه القاذورات والخردوات، إلى أن مرّ هذا الرجل فحمله لبيته ونظفوه ومنحوه للطفل.

كان الطفل سعيدًا به يركبه يتمرحح بلطف يداعبه... لكن رغم معاملة الطفل الحسنة له إلا أنه كان تغيّسًا، فهذا البيت خال من اللعب إلا منه وقد ملّ الوحدة، كما أن الغرفة باهتة لا صور ولا ألوان...

ذات يوم سمع الرجل يقول لزوجته:

- لقد قبلت في الوظيفة الجديدة والمرتب جيد والحمد

لله.

- قالت: أول شيء نزين غرفة الطفل ونغير أثاثها،

ونشتري له لعبا كثيرة .

- حاضر حبيبتى أكيد- قال .

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

فرح الحصان وانشرح صدره، أخيراً سيعيش في غرفة جميلة
وملونة وسيكون له أصدقاء أيضاً .

أصبحت الغرفة ملونة علقت عليها صوراً جميلة وغيّر
السرير بسرير جميل فرش بأفرشة ملونة، وامتألت الغرفة بلعب
جديدة فيل، سلحفاة، زرافة، غزالة..

كان حصان الخشب سعيداً جداً، أكيد سيصادق الفيل
وستكون له أخيراً حبيبة... آيختار الزرافة أم الغزالة؟؟؟

أممم...، الغزالة أجمل، لكن لا يهم جمال الشكل
فجمال الروح أحسن وأبقى والأهم من كل ذلك الحب...
فإن أحبته الغزالة كان بها، وإن أحبته الزرافة سيقبل.

غفت عينه فرأى نفسه في أحضان الغزالة يشبعها قبلاً
وتشبعه همساً، لكنه استيقظ فزعاً على يد تشده بعنف قائلة:
- هذه اللعبة القدرة لم يعد لها مكان هنا، وفتحت الموقد
ورمته تلتهمه النيران وسط الحطب.

اختارت الأمومة

كان يتميز كل ما تبحث عنه المرأة من صفات:
حب جارف وعطاء وارف، حنان واهتمام بأصغر الصغائر
وأبسط العواطف، يتغاضى عن العيوب ويمدح الحسنات...
اختلاف تام عن ذلك الذي يربطها به قدس مقدس...
رجل متعجرف جامد كالحجر مادي حتى شويكات النخاع،
الغزل جف من زمن والمدح بذور تحللت ولم تنتش، يكسر
المشاعر ويحطم الأمل, يجبط الناجح ويضحك من الفاشل...

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

ملت حياتها معه، وربما ما جعلها تضعه تحت المجهر هو
تعرفها على ذلك الصديق المغاير فالشيء بضده يُعرف ...
وما زاد من طموحها وأغراها بالثورة والتمرد هو وعده
بمساعدها على الشهرة وتحقيق حلمها بأن تصبح ممثلة
مشهورة...

طال بها التفكير وتأججت أحلامها وأصبح التحقيق
قاب قوسين أو أدنى... أعدت حقيبتها بما خف وزنه وزاد ثمنه
وقررت أن تلتحق بالحب وتلبس تاج النجاح والفرح...
قبّلت الطفلتين وأحكمت إغلاق النوافذ وخرجت، وما
كادت تضع رجلها في أول السلم/ الهابط بها من أموماتها
الصاعد بها نحو المجد/ حتى عادت لتغطي الطفلتين فهما
تتعريان كثيرا بالليل.
خرجت وماكادت تفتح باب السيارة حتى خفق قلبها
وعادت تجري:

- يا للهول، نسيت علبة دواء مسكن للصداع على
طاولة المطبخ وقد تستيقظ إحدى البنتين قبل الأب وتلتهم
الدواء بفضولٍ طفوليٍّ نهم...
هذه المرة ستخرج ولن تعود ثانية/ بالأحرى الثالثة/ فكل
شيء على مايرام ...

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

بدأت أولى خيوط الشمس تتلصص عبر شقوق النافذة
لتشي له بما حدث ويكون لها شرف السبق الوشائيّ.
فرك عينيه وتحسس مكان رفيقة السرير، ذهل كأن هاجسا
ما أنبأه برحيلها/ خصوصا وأنها هذه الأيام دائمة التهديد
بالرحيل/ ... وزاد ذهوله بباب الخزانة المفتوح والأدراج الخاوية
على حطبها.
قفز من مكانه وبدأ يبحث عنها كمن ضيّع بطاقة
هويّته... مصيبة ليست في المطبخ، ولا الصالون، ولا الحمام،
ولا بالمكتب... ولا... ولا...
صعد الدرج جارياً نحو غرف الطابق الثاني وفتح باب غرفة
نوم الفتاتين وابتسم ابتسامة ذات مغزى لا يعلمها إلا هو.
كانت هناك نائمة تتوسط البنيتين وتحكم حضنهما وعلى
وجهيهما ابتسامتين ملائكتين وعلى خدها دمعة أزلية....

غرفة النوم

- قالت: هل صحيح اشتريت غرفة نوم جديدة؟
- قال: أجل.
- قالت: وهل نحن في وقت مناسب لتغيير غرفة النوم .
- قال: آلا تترين أنها أصبحت مهترئة وذلك السرير يئن كلما لمس الجسد، أم فقدت حاسة السمع كغيرها من الحواس والأحاسيس؟
- قالت: لكن أنت تعلم أنني لا أنام الليل من الألم ولم أعد

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

أتمكن من الوقوف على رجلي والطبيب ينتظر إجراء التحاليل وأشعة* السكائير*، زد على ذلك فهو يتوقع تدخل جراحي وثنه بثمان الغرفة... أم تنتظر حتى تقطع رجلي؟

- قال: أغلقتي شهيتي عن غدائي كما أغلقتها عن أشياء أخرى بنواحك ونباحك المستمر/ ستقطع رجلي ستقطع.../ وإن كتب عليك قطع الرجل فما ذنبي أنا؟... سبحان الله .
وظفق يأكل تلك الدجاجة التي أمامه باذلاً قصارى جهده في ألا يترك بها ولو ذرة، ثم رماها على الطاولة هيكلًا عظيمًا مقرزًا، ودون أن يكلف نفسه غسل يديه أخرج سيجارة وراح يتفنن في حرقها وذرها رمادًا منشورًا .

- قالت: هاقد انتهيت، كلمني الآن... لا أريد تجديد غرفة النوم أريد علاج رجلي...

- قال: لا تريدين؟... لكن أنا أريد، امرأة أنانية تريدين كل شيء حسب رغبتك، ثم هل تظنين أن عروسًا بالثلاثين ستقبل الدخول على غرفة مهترئة كنتلك؟!!

حب يُحتضر

الساعة تشير إلى الصفر بتوقيت الفرح... الحمامة البيضاء
مخضبة بالحناء تراقص القمر... وتميَّي نفسها بفجر جديد
ستقتسم نسماته مع فارس ما سألته إن كان من عرب عجم أو
عجر، ما سألته عن قبلته وقت ترتيل الغزل، هويته كتب فيها
بشر ابن بشر...

دق الجرس وفتحت الباب كان ساعي الشؤم ينتظر...
أسرع للوداع الأخير إنَّ الحب يُحتضر... قهقهه صوت وقال:

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

- هذا جزاء الحاملين في عالم يحرم الحلم ...
قتلوه... أجل قتلوه، فقط لأنه على ملة غير ملّتها، على
دين غير دينها... فقط لأنه بذرة نمت في غير مناخها وبيئة
تخلف عن بيئتها... قتلوه بل قتلوها ...

الضيعة الضائعة

ستمطرُ السماء شاحبة تنذر بكارثة... أطفال يلعبون غير
عابئين بتهديدات القدر المترص بالبشر... نظر للطفل اللاهي
فوق الأرجوحة وقال:

- هيا إلى البيت يا ولدي .

نظر الطفل للوجه الكئيب بخوف واستغراب . وهزّ الرجل
رأسه في حركة لا يفقهها إلا هو، سقطت دمعة حزينة على
خده المجدّد قبل أوانه، حاول مدّ يده ليمسح على رأس الطفل

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

معتذرا... لكن الطفل ركض هاربًا...
وهو... وهو... تذكّر أخيرًا أن يده قد دفنت ذات فجيحة
مع ابنه الوحيد تحت أنقاض بيتهم... في ضيعتهم الضائعة
للأبد.

خشبة ومئزر وكفن

وضع يده يربت على الألم الساكن الفؤاد من...
من زمن لم يعد يدري أكان مع بداية التاريخ أم قبله،
داخل الصدر حياة أخرى شرعية قد حازت على الحكم الذاتي
بعد الثورة الكبرى.

ثورة على كل شيء، على أعراف الطوطم وطقوس آبولو
وسخافات أفروديت، ثورة عارمة، نار مضطربة لهبٌ حوّل
جسده الهزيل مهزلة تعكر صفو الناظرين كأنه خارج من صقر.

بُحيرة الرّب وقصص أخرى

كان لا بد أن يحصّن جسده بجدران فلينية عازلة لخروج
الخواطر... كيف لا يفعل، وفي حظيرته الخاطر خطر والتساؤل
جرم لا يغتفر... والأخ قاتل أخاه لاختلاف النظر... والذبح
أسبق أنباء من الأجل...
أرادها ثورة لتحقيق الحرية، لكن بكل جبن أغتيلت
القضية، ووجد نفسه مخيراً بين خشبة ومئزر وكفن...

الفهرس

٤	امرأة من نار
١٢	من يطفئ النار؟
١٦	من الإكوس إلى الأوراس
٢٠	السفر إلى الهاوية
٢٥	كارولين تقرر الحياة
٣٣	حكاية أزلية
٣٥	الضحية
٣٩	إعدام
٤١	كنزه الثمين
٤٤	هي .. وهي
٤٦	ذاكرة الحلم
٤٩	الغربة امرأة
٥٣	طقوس في الظلام
٥٧	الحطاب السادي
٥٩	بحيرة الرب
٦٧	زهرة الأوركيد
٧٣	اليتيم
٧٧	الجزار

بُحيرة الرَّبِّ وقصص أخرى

٨٠	وعسى
٨٣	شرفة الأمل
٨٥	المُتحدية
٨٨	حصان الخشب
٩١	اختارت الأمومة
٩٤	غرفة النوم
٩٦	حب يُحتضر
٩٨	الضيعة الضائعة
١٠٠	خشبة ومئزر وكفن